السلع التجارية في الأسواق المصرية في دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)

مروان عاطف الضلاعين *

ملخـص

تنوعت الأسواق في المدن المملوكية تبعاً للسلع التي تباع فيها، والوقت الذي تقام فيه، فكانت هناك أسواق شاملة لجميع أنواع السلع، وأخرى متخصصة بسلعة معينة، وأسواق موسمية وأخرى يومية. وتنوعت السلع التجارية المتداولة في الأسواق المملوكية بتنوع مصادرها؛ فقد أسهمت السلع المحلية بصورة أساسية في النشاط التجاري للدولة. وخضعت عملية تسويق السلع لعوامل عدة، من أبرزها: قضايا العرض والطلب، والممارسات الاحتكارية لسلاطين الدولة من خلال المتجر السلطاني، وتجارة الأمراء المماليك، والأهمية الاقتصادية لهذه السلع، وارتبطت حركة السلع التجارية في الأسواق المملوكية بمستوى المعيشة، وحاجات السكان الأساسية وعاداتهم، والنشاط التجاري للدولة. وتمثل الغلال والأعلاف واللحوم والتوابل والأقمشة والزيوت والفواكه والمعادن والرقيق أهم السلع التجارية لدولة المماليك البحرية، بالإضافة إلى الحديث عن المؤسسات والهيئات التجارية، والمحتسب وعملية مراقبة الأسواق، ثم الحديث عن المكاييل والأوزان والضرائب والأسعار.

الكلمات الدالة: السلع التجارية، الأسواق المصرية، المماليك البحرية، الوكالات التجارية، المتجر السلطاني.

تمهيد

ترتب على وفاة توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب(ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) تطور في تاريخ مصر وبلاد الشام؛ إذ بوفاته سقطت الدولة الأيوبية وقام سلاطين دولة المماليك التي بدأ حكمها بتولي شجرة الدر(٦٤٨هـ/١٢٥٠م) الحكم مدة ثمانين يوماً، وقد وصف المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) حكمها بقوله إن: "أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك"[(١)]. وكان أول ما واجهته بعد توليها الحكم هو وجود الفرنسيين في دمياط، على الرغم من أن الملك "لويس التاسع " ملك فرنسا كان أسيراً في المنصورة إبان الحملة الصليبية السابعة، إلا أنه لا يزال يشكل خطراً لأن دمياط في قبضة الفرنسيين، وتمثل قاعدة بحرية لهم يمكن للغرب استغلالها في الهجوم

---

* قسم العلوم التربوية والاجتماعية، كلية الكرك الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية. تاريخ استلام البحث ٢٠١١/٢/٨م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠١١/١٢/١٥م.

١- المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد مصطفى وجمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م. ج٢، ص١٠٣، يشار إليه لاحقاً، المقريزي، الخطط؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دولة الملوك، ٤ج، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٧م، ج٣، ص٥٣٥. يشار إليه لاحقاً، المقريزي، السلوك.

© ٢٠١٢ عمادة البحث العلمي/ا امعة الأردنية. يع ا قوق فوظة.

على مصر؛لذا أرسلت شجرة الدر الأمير حسام الدين لمفاوضة الفرنسيين، وبعد المفاوضات تم التوصل إلى إطلاق سراح الملك لويس التاسع مقابل فدية على أن يجلو الفرنسيون عن مصر، وهكذا تم الجلاء[٢]. أما العقبة الثانية التي واجهت شجرة الدر فهي رفض العالم الإسلامي توليها الحكم كونها امرأة، فتزوجت أحد المماليك، وهو عز الدين أيبك التركماني، وهكذا بدأ عصر المماليك الذي أجمع المؤرخون على قسمته قسمين: أولهما البحري أو المماالك البحرية، وثانيهما البرجي أو المماليك الجراكسة.

عرف القسم الأول من عصر المماليك بإسم المماليك البحرية، وذلك لأن معظم هؤلاء المماليك من الأتراك المجلوبين من بلاد القفجاق شمالي البحر الأسود ومن بلاد القوقاز غرب بحر قزوين، وقد امتاز هؤلاء المماليك بالشجاعة النادرة والصفات الحسنة، وتمكنوا من حكم مصر نحو قرن وثلث استطاعوا خلالها مواجهة العديد من المشكلات التي واجهت المسلمين، وخاصة الخارجية المتمثلة في مواجهة أكبر خطرين: الصليبيين والتتار، وقد استطاع المماليك بقيادة سيف الدين قطز ومساعدة ركن الدين بيبرس الانتصار على التتار في موقعة مهمة هي عين جالوت التي دارت بين المسلمين والتتار سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[٣]. كما أن السلطان بيبرس واجه الصليبيين وحاربهم حرباً لا هوادة فيها، حتى إنه استطاع انتزاع مدنهم وقلاعهم بالشام، كما حارب أيضاً تتار فارس ودفع خطرهم عن بلاد الشام. وبعد وفاة بيبرس استولى على الحكم المنصور قلاوون الذي امتاز عصره بالازدهار والقوة والاستقرار والنهضة في الداخل والسلام والأمن في الخارج، وبلغت مصر مبلغاً عظيماً من القوة والثروة في عهده، حتى إن المماليك تمكنوا من بناء العديد من الآثار والمباني العظيمة، خاصة بعد أن استمر الحكم له ولأولاده ولذريتهم من بعده قرن من الزمان (٦٧٨هـ-٧٨٤هـ/ ١٢٧٩م-١٣٨٢م)، استطاع المسلمون في عصر الشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩هـ-٦٩٣هـ/١٢٩٠م-١٢٩٣م)، الذي يعد آخر بطل للحروب الصليبية بأرض الشام، الاستيلاء على عكا من الصليبيين، وكان ذلك بمثابة الضربة الكبرى القاضية لتواجد الصليبيين بالشام، حيث تمكن المسلمون بعد ذلك من الاستيلاء على ما تبقى من مراكز قليلة مثل صور وصيدا وغيرها، ثم تولى بعد الأشرف خليل، الذي كان آخر سلطان بيت قلاوون، الناصر محمد بن قلاوون، ثم خلفه سلاطين عدة كان آخرهم الصالح حاجي بن شعبان (٧٨٣هـ-٧٨٧هـ/ ١٣٨١م-١٣٨٥م)، ثم انتهى عصر المماليك البحرية ليبدأ عصر المماليك الشراكسة أو المماليك البرجية[٤].

تنوعت السلع التجارية في الأسواق المملوكية، وشهدت حركة الأسعار حالات متعددة من

٢- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥؛ ابن إياس، محمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ٥أجزاء، ط٣، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣، ج١، ص٣٦٩، يشار إليه لاحقاً، ابن إياس، بدائع الزهور.

٣- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥.

٤- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

الغلاء وعدم الاستقرار، وارتبط ذلك بحجم الإنتاج المحلي، والعوامل المؤثرة فيه، وحركة التجارة بين النيابات المملوكية وسياسة المماليك في فرض الضرائب والمكوس. وعمل سلاطين المماليك على تنظيم تجارة الأوروبيين في الأسواق المملوكية، فعقدت المعاهدات التجارية، وصدرت المراسيم السلطانية بهدف تسهيل وصول السلع الأوروبية التي تحتاج إليها الدولة، والعمل على تسويق السلع التي احتكرها السلاطين لحسابهم، وكذلك تنوعت الأسواق المملوكية وتعددت، وظهرت المؤسسات التجارية كالوكالات والخانات والفنادق في المدن الكبرى وعلى طرق التجارة. وأسهمت هذه المؤسسات في تنشيط العمل التجاري وضبطه، فاستقبلت السلع التجارية التي ترد إليها من البلاد الأخرى، وأعادت تسويقها محليا وللتجار الوافدين إلى الدولة. وتنوعت الأسواق في المدن المملوكية تبعاً للسلع التي تباع فيها، والوقت الذي تقام فيه، فكانت هناك أسواق شاملة لجميع أنواع السلع، وأخرى متخصصة بسلعة معينة، وأسواق موسمية وأخرى يومية. ووجدت العديد من الأسواق الرئيسة في المدن المملوكية الكبرى كالقاهرة، والإسكندرية، وكذلك تنوعت السلع التجارية المتداولة في الأسواق المملوكية بتنوع مصادرها؛ فقد أسهمت السلع المحلية بصورة أساسية في النشاط التجاري للدولة. وكانت حركة الأسواق تتمثل في استقبال السلع التجارية الواردة إليها عن طريق الموانئ المملوكية المتعددة على سواحل البحرين المتوسط والأحمر، وطرق القوافل البرية التي ربطت بين النيابات المملوكية، والمناطق المجاورة لها في أفريقيا والعراق والأناضول والجزيرة العربية؛ كطريق الإسكندرية – القاهرة ، وطريق القاهرة – أسوان، وطريق جدة- عيذاب –القاهرة، وطريق القاهرة- السويس – مكة، وطريق القاهرة – دمشق، وطريق الإسكندرية –الموانئ الشامية. وتأثرت المدن والمحطات التجارية المملوكة بالنشاط العسكري للدولة[٥]، وكان للموقع الجغرافي، والأهمية الإستراتيجية أو توافر الأمن على الطرق المؤدية إليها أثر في الدور التجاري لهذه المدن، وكان لاعتماد طرق تجارية معينة من قبل الدولة آثارها الواضحة في ازدهار بعض المحطات التجارية وتراجع مراكز أخرى.

وخضعت عملية تسويق السلع لعوامل عدة، من أبرزها: قضايا العرض والطلب، والممارسات الاحتكارية لسلاطين الدولة من خلال المتجر السلطاني، وتجارة الأمراء المماليك والأهمية الاقتصادية لهذه السلع، وارتبطت حركة السلع التجارية في الأسواق المملوكية بمستوى المعيشة، وحاجات السكان الأساسية وعاداتهم، والنشاط التجاري للدولة. وتمثل الغلال والأعلاف واللحوم والتوابل والأقمشة والزيوت والفواكه والمعادن أهم السلع التجارية لدولة المماليك البحرية، إضافة إلى أنواع أخرى مثل البذور والتقاوى والأخشاب والورق والزجاج والعنبر والحشيش والأسلحة وأدوات الزينة، والأعشاب الطبية التي تشتد الحاجة إليها وقت الأمراض والأوبئة[٦].

أولاً: الأسواق التجارية.

يمثل وصف الأسواق وبيان تنظيمها وتوزعها الجغرافي في المدن والأقاليم المملوكية جزءاً

٥- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

٦- المصدر نفسه.

أساساً من الحركة التجارية، ففي تعدد هذه الأسواق، واتساعها، وتنوع بضائعها، دلالة على حجم الفعاليات فيها، كما توزعت الأسواق الرئيسة والإقليمية والمراكز التجارية بين النيابات المملوكية. وتأثرت تجارة الأسواق بمختلف الظروف والتطورات التي عاشتها المدن المملوكية، فكان ازدهارها أو تراجع دورها، رهناً لهذه الظروف، فأقيمت أسواق جديدة، واستمرت بعض الأسواق القديمة في نشاطها(٧)، وخربت أجزاء من أسواق أخرى، بينما اندثرت أسواق بأكملها. وأقيمت الوكالات والخانات والفنادق التجارية المتخصصة في معظم المدن الرئيسة، وعلى الطرق التجارية المؤدية إليها، وشاركت هذه المؤسسات بصورة رئيسة في تجارة العبور، فاستقبلت السلع التجارية التي ترد إليها من الدول الأخرى، وأعادت تسويقها، فكانت من خلال تجارها وسيطا تجاريا ومشاركاً في تجارة السلع الشرقية والأوروبية. وكان لدولة المماليك البحرية سياستها الخاصة في تنظيم الأسواق وإدارتها، فبرز المتجر السلطاني في العملية التجارية، ومارس السلاطين من خلاله احتكار سلع تجارية معينة، كان لها مردود مالي وفير على الخزانة السلطانية، وعانى التجار من سياسة "الطرح" أو البيع الإجباري، وكانوا أحيانا هدفاً للمصادرة والنهب. وقد تنوعت الأسواق في المدن المملوكية تبعاً للسلع التي تباع فيها، والوقت الذي تقام فيه، وتميزت القاهرة وظواهرها بأسواقها الشاملة، واشتهرت بقصبتها المعروفة بالشارع الأعظم الذي يمتد من أول الحسينية(٨) شمالا إلى مشهد السيدة نفيسة جنوبا، الذي احتوى على اثني عشر ألف حانوت. أدركها المقريزي وهي عامرة بالحوانيت، غاصة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة(٩). وامتلأت هذه القصبة بالعديد من الأسواق التجارية التي امتدت على طول الشارع وامتدت الأسواق الأخرى في ما بين أرض اللوق إلى باب البحر بالمقس. وقد خرب قسم من هذه الأسواق وبقي منها ما يبلغ عدد حوانيته نحو ستين حانوتاً(١٠) وكان ذلك نتيجة موجات القحط والأوبئة المتلاحقة التي وقعت في مصر خلال هذه المدة وهناك نوعان رئيسان من الأسواق، هما: الأسواق الدائمة والأسواق المؤقتة، إلا أن النوعين تطورا بسبب الطلب الزائد على البضائع، ونبدأ الحديث عن الأسواق الدائمة.

أ- الأسواق الدائمة:

عرفت الأسواق في العصر المملوكي نوعا من التخصص في البضائع التي تباع في كل منها، وهو ما يتفق مع طبيعة الحياة الاجتماعية في ذلك العصر؛ إذ كان لأفراد كل طائفة حارة تعرف باسمهم، كما يبدو من خلال مصادر تلك الفترة، وسوف نقسمها إلى مجموعات رئيسة حسب نوعية الأسواق، بمعنى وضع أسواق المواد الغذائية في مجموعة، وأسواق الملابس ومستلزماتها

٧- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥.
٨- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥.
٩- المصدر نفسه.
١٠- المصدر نفسه.

في مجموعة ثانية، بينما تدرج أسواق تجهيزات السفر في مجموعة ثالثة وهكذا[١١]،

أ- أسواق المواد الغذائية

ولنبدأ بأسواق المواد الغذائية، ويجدر بنا أن نلحظ في هذا المقام أن تلك الأسواق كانت منتشرة في جميع أنحاء البلاد، وهو أمر يتمشى بالضرورة مع توزيع التجمعات السكانية.

سوق باب الفتوح: يرجع إلى أيام الدولة الأيوبية، وهو من أشهر تلك الأسواق؛ فقد كان الناس يقصدونه من أقطار الأرض لشراء أنواع الضأن والبقر ولشراء أصناف الخضروات [١٢]، كما اشتهر أيضاً **سوق حارة برجون** الذي كان معموراً بالعدة الوافرة من بياعي لحم الضأن السليخ، وبياعي لحم البقر، وكان فيه عدد كبير من الجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والعطارين، وكان بذلك السوق حانوت لا يباع فيه سوى حوائج المائدة من البقل والنعناع وغيرها[١٣].

سوق الدجَاجين: كانت تباع فيه الطيور والدواجن، كما كانت تباع به طيور الزينة، والعصافير التي كانت أقفاصها تعد بالآلاف، وكان الناس يشترون العصافير لأطفالهم لكي يطلقوها حباً في عمل الخير، وذلك لاعتقادهم بأن الطيور تسبح بحمد ا [١٤]. ويبدو أنه كان في القاهرة سوق مركزي للفاكهة، وهي دار الفاكهة أو دار التفاح [١٥] التي كانت ترد إليها الفواكه التي تنتجها بساتين مصر على اختلاف أصنافها، ومنها تنقل إلى سائر أسواق القاهرة ومصر وضواحيها. وتحفل مصادر عصر المماليك بأسماء أسواق كثيرة تخصصت في بيع المواد الغذائية والمأكولات مثل سوق المتعيشين الذي كان عامرا بكل ما يحتاج إليه الإنسان من مأكولات وغيرها سواء نهاراً أو ليلاً [١٦].

سوق بين القصرين: وهو من أسواق القاهرة القديمة التي وجدت زمن الفاطميين، وكان واسعاً جداً بحيث يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل، وقد خربت معظم حوانيته زمن المماليك الجراكسة، ووصفه المقريزي بقوله: "وفيه إلى الآن بقية تحزنني رؤيتها إذ صارت إلى هذه القلة[١٧]"، وكانت تباع فيه أصناف المأكولات من اللحم والحلاوات المصنعة والفاكهة وغيرها[١٨].

١١- يعتمد الباحث على نحو أساسي– في المقريزي، الخطط – على ما قدمه المقريزي في خططه ج٢ المقريزي، السلوك، ٤ج، من معلومات عن الأسواق.

١٢- المقريزي، الخطط ، ج٢، ص٩٤.

١٣- المصدر نفسه، ج٢، ص٩٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

١٤- المصدر نفسه، ج٢، ص٩٥.

١٥- أنشئت "دار التفاح "بعد عام ٧٤٠هـ وقد بنيت حولها عدة حوانيت تبيع الفاكهة التي كانت ترتب في شكل بديع وحولها الزهور، وكان هناك سقف يصل مابين تلك الدكاكين لحماية الفواكه من حر الشمس، المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٣؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص١٨٤، ج٢، ص٤٠٠.

١٦- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

١٧- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

١٨- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥.

سوق الحلاويين: اكتسب اسمه من الحلوى المصنوعة من السكر، وكان لهذا السوق مواسم يزدهر فيها مما يلقي بعض الضوء على جوانب الحياة الاجتماعية آنذاك، ففي موسم شهر رجب ونصف شعبان وموسم عيد الفطر الذي كان الاستعداد يبدأ له من منتصف شهر رمضان، كانت تصنع تماثيل من الحلوى على هيئة الحيوانات المختلفة، وقد عرفت تلك التماثيل باسم العلاليق (مفردها علّاقة) لأنها تعلق بخيوط على أبواب الحوانيت، وكان وزن كل منها يتراوح ما بين ربع رطل وعشرة أرطال، يشتريها الناس لأطفالهم[١٩].

ب- أسواق بيع الملابس

أما الأسواق التي تخصصت في بيع الملابس ولوازمها فنذكر منها **سوق الخلعيين**[٢٠]، الذي كانت تباع فيه ملابس أهل الدولة وغيرهم من الخلع والتشاريف، وكانت الثياب المخيطة (الجاهزة) تباع بذلك السوق[٢١]. ويقترب من هذا السوق من حيث التخصص **سوق الحوائصيين**، الذي كان في البداية مخصصاً لبيع حوائص الأجناد (وهي المناطق التي كان المماليك يرتدونها حول أوساطهم)، ونستطيع من خلال متابعة تطور ذلك السوق أن نلمح مؤشراً مهماً على التدهور الاقتصادي الذي عانته الدولة، فقد آل أمر السوق بعد الأزمات الاقتصادية المتتالية إلى أن صارت معظم حوانيته تبيع الطواقي التي يلبسها الصبيان[٢٢].

أما **سوق الشرابيين** [٢٣]، فقد كانت تباع فيه الخلع التي يلبسها السلاطين والأمراء والوزراء والقضاة و، غيرهم وكان بذلك السوق عدة تجار لشراء الخلع والتشاريف وبيعها لديوان الخاص السلطاني والأمراء[٢٤]، كذلك **سوق الابارين**، الذي كان مخصصاً لبيع أبر الخياطة ولوازم الحياكة[٢٥]. وأما **سوق الجَواخيين**، فقد كان يبيع الجوخ المستورد من أوروبا، والذي كان يستخدم في صناعة المقاعد والستائر والسروج، ولم يكن الناس يلبسون الجوخ ألا في الأيام المطيرة لكي يقيهم المطر، وكانوا لا يعتبرونه من الملابس، فقد كان الناس يترفعون عن الجوخ لأنه يستخدم في صناعة السروج، ولكن تدهور الأوضاع الاقتصادية والغلاء الذي شمل الثياب جعل المصريين يتخلون عن نظرتهم تلك، وصار معظم الناس يرتدون الملابس المصنوعة من الجوخ، فازدهر سوق الجواخيين لإقبال الناس عليه [٢٦].

١٩- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

٢٠- ذكر المقريزي أن كلمة خلعي– وجمعها خلعيين – تعني تاجر الثياب الخليع أي الثياب المستعملة، ولكن يبدو مما ذكره عن السوق أنه لم يكن كذلك. المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣.

٢١- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

٢٢- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥.

٢٣- كان السلطان إذا أمر أحداً من الأتراك ألبسه الشربوش وهو شيء يشبه التاج كأنه مثلث يجعل على الرأس من غير عمامة. وقد بطل الشربوش في الدولة الجركسية. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٧-٩٨.

٢٤- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥.

٢٥- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٤.

٢٦- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

ج- سوق السلاح

سوق السلاح، فتخصص في بيع لوازم الجنود من الأسلحة ومعدات الركوب وأدوات القتال من القسي والنشاب والزرديات [٢٧]، وغيرها من آلات السلاح، ويقترب منه **سوق المهامزيين** الذي كان معدا لبيع المهاميز المستخدمة في الركوب، ورغم اسم السوق فإنه لم يكن متخصصا تماما، فقد كانت تباع فيه الدرى والطرف التي فيها الذهب والفضة. مثل سكاكين الأقلام[٢٨]، وكان **سوق اللاجاميين،** الذي تباع فيه أدوات اللجم وغيرها من لوازم الدواب الجلدية، مجاورا لسوق المهامزيين، وكان فيه عدة طلائين وصنَاع الكفت (التطعيم بالمعادن) [٢٩] كما وجد عدد كبير من صنَاع السروج ولوازمها [٣٠].

د- سوق المرحلين

ومن الأسواق المتخصصة في بيع لوازم السفر **سوق المرحلين،** كان سوقا ضخماً يزدهر أيام مواسم الحج، ولو أراد الإنسان تجهيز مائة جمل أو أكثر في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار في الحوانيت[٣١]. وأما **سوق المحاريين،** فتباع فيه المحاير التي يسافر فيها إلى الحجاز وبيت المقدس، وفي مرحلة لاحقة نشأ سوقان آخران لبيع المحاير، أحدهما بسوق جامع أحمد بن طولون، والثاني بسوق الخيميين، ويبدو أن تجار ذلك السوق لم يكونوا مهتمين بزبائنهم على اعتبار أن الإنسان لا يطرق ذلك السوق سوى مرة واحدة في العمر.

هـ- أسواق متعددة الأغراض

فضلاً عن الأسواق التي ذكرناها آنفا هناك عدة أسواق تباع فيها حاجات الناس في حياتهم اليومية، مثل سوق الصنادقيين الذي تباع فيه الصناديق والخزائن وغيرها من المصنوعات الخشبية التي كان المصريون يستخدمونها في منازلهم[٣٢]. وأما **سوق العنبريين،** فأنشأه السلطان المنصور قلاون مكان سجن حبس المعونة، وفاء لنذر كان قد قطعه على نفسه، فقد لقي رواجا هائلا في بداية أمره إذ كان المصريون على اختلاف طبقاتهم مولعين بالعنبر[٣٣]. وأما **سوق**

٢٧- نوع من الدروع الواقية كانت تلبس كالقمصان، كان يصنع من حلقات وسلاسل من المعدن، ماير، الملابس المملوكية، ص٦٦-٦٧.

٢٨- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥.

٢٩- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٦- ٩٧.

٣٠- ابن دقماق، صارم الدين بن أيدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جزآن، المكتب التجاري، للطباعة والنشر، بيروت، ١٨٩٣، ص٣٤. المقريزي، السلوك، ج٤، ص٤٤٢. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٠٤،٤٠٥. ج٥، ص٩٤، ٩٥؛ بيرو طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر ميلادي، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٦٤.

Shoshan, Boaz. Money, Prices، and Population In Mamluk Egypt. University Microfilms International. Ann Arbor, Michigan. 1984. p49.

٣١- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

٣٢- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

٣٣- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥.

الشمّاعين، فيعتبر من الأسواق القديمة في القاهرة، وكان يزدهر في شهر رمضان، إذ كانت الفوانيس تعلق على حوانيت السوق، وكانت تباع في هذا الموسم كميات كبيرة من الشموع وتؤجر لا سيما الشموع الضخمة، وذلك من أجل خروج الصبيان لصلاة التراويح في موكب يعجز البليغ عن وصفه [٣٤]. فضلا عن الأسواق السابقة ذكرها فإن مصر قد عرفت في تلك الفترة أسواقا كانت مخصصة لبيع الحيوانات، مثل الخيل والبغال والحمير والأغنام [٣٥].

وتعد القيساريات الأسواق المتخصصة في بيع سلع محددة، ولكنها ذات طابع خاص يميزها عن الأسواق الأخرى، فالقيساريات كما عرفتها المدن المملوكية، مجمعات تجارية تحوي عدة حوانيت تبيع سلعاً متماثلة، ولها باب يغلق ليلاً[٣٦]، ويقوم حارس بحراستها، كما يتولى فتح الأبواب في الصباح و إغلاقها في الليل، وكان لكل قيسارية عريف يشرف على إدارتها، وإسكان التجار فيها، ولا يسمح لأي منهم الدخول إلى مجمع الحوانيت بعد إغلاقها[٣٧]. ويصل عدد حوانيت القيسارية إلى ثلاثين حانوتاً[٣٨]. ووجد لبعض القيساريات أكثر من باب، قد تصل أحيانا إلى ستة أبواب[٣٩]، وذلك تبعاً لمساحتها وحجم التجارة فيها. واشتملت بعض القيساريات في وسطها على نوافير للمياه لأغراض الوضوء، كما يعلوها رباع[٤٠] فيها عدة مساكن[٤١]، وكان في بعضها مساطب ومقاعد بأجناب أقيمت للخياطين[٤٢]، وخاصة قيساريات الأقمشة والملابس، ارتبطت إقامة هذه القيساريات بنوع السلع التي تبيعها وضرورات المحافظة على السلع التجارية، كقيسارية القفيصات قرب جامع المقس شمال القاهرة التي اختصت ببيع ما تحتاجه النساء من الخواتم والأساور والخلاخيل، وكانت قبل ذلك معدة لجلوس الباعة وفوقها أقفاص صغار من حديد مشبك[٤٣]. وألحقت بعض القيساريات بالأسواق العامة أو المتخصصة دون الالتزام ببيع نفس السلعة التي تباع في هذه الأسواق، كقيسارية الكتبين التي أقيمت بسوق الدجاجين بالقاهرة، حيث عمل لها باب من وسط السوق وباب من الشارع الذي يسلك فيه من بين القصرين[٤٤]. وظهرت في أسواق القاهرة بعض

٣٤- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.
٣٥- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٠.
٣٦- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٥٨-٤٦٠.
٣٧- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩١.
٣٨- ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص٣٨.
٣٩- الربع: الدار بعينها حيث كانت، وهي المحلة التي تشمل على عدة مساكن؛ الزبيدى، تاج العروس، ج٥، ص٣٣٧؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٨٩؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٨٨٥؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمرو. ت(٧٧٤هـ). البداية والنهاية، ١٤ج، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧م، ج١٤، ص٢٢٩.
٤٠- ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص٣٨.
٤١- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٧. المقريزي، السلوك، ج٣، ص٨٨٥.
٤٢- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٦.
٤٣- ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص٣٨.
٤٤- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٧. المقريزي، السلوك، ج٣، ص٨٨٥.

القيساريات المعدة لسلع معينة ولمدة محدودة، كقيسارية العصفر التي كانت معدة لدق العصفر[٤٥]. وأقيمت في المدن المملوكية أسواق يومية، داخل المدن وخارجها، واختصت هذه الأسواق عادة ببيع الدواب من الخيل والحمير والأبقار والأغنام، بالإضافة إلى الغلال وعلف الدواب، فقد أقيم في منية الأمراء[٤٦] سوق كل يوم أحد لبيع الدواب والغلال والحمير، وكان من أسواق مصر المشهورة، وأكثر ما كان يسكن فيها النصارى، الذين يقومون بعصر الخمور وبيعها[٤٧]. ووجدت أسواق للخيل والحمير تقام صباح كل يوم تحت القلعة[٤٨]، ومنها ما يقام كل يوم جمعة تحت القلعة كسوق الجمال والبقر[٤٩]، أو يومي الاثنين والخميس كسوق الجواري والرقيق[٥٠]. وكان في الجيزة من ضواحي القاهرة سوق عظيم كل يوم أحد[٥١]. وفي ثغر الدركوش[٥٢]. ويتراوح عدد حوانيتها ما بين ٤-١١ حانوتاً[٥٣]، وكانت عامرة بجميع أنواع السلع، ولها عدة مداخل[٥٤].

واشتهرت هذه السويقات باسم السلعة التي تباع فيها كسويقة النحاس في القاهرة[٥٥]. ظهرت في الأسواق المملوكية محاولات توحي بالتنظيم، وفرض الرقابة، وحفظ الأمن، وكان يشرف على تجار قيسارية جهاركس عريف[٥٦] يعين من قبل التجار بإشراف والي القاهرة، مما يشعر بوجود مثل هذا التنظيم في أسواق أخرى، وأن الهدف منه رعاية شؤون التجار وتنظيم أمورهم داخل القيسارية و خارجها[٥٧]. وأضيئت أسواق القاهرة ليلاً بالفوانيس، وزاد الاهتمام بذلك في المواسم والأعياد وشهر رمضان والمناسبات الرسمية[٥٨]. وكان لبعض أسواق القاهرة الكبيرة أبواب تغلق

٤٥- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٦.

٤٦- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٨٩.

٤٧- تقع في ضواحي القاهرة وتعرف بمنية السيرج، كانت من أملاك الأمير حاجي بن شعبان، وأدخلت في الديوان السلطاني المفرد في دولة المماليك الثانية. انظر ابن دقماق، الانتصار، ج٢ ص٤٧.

٤٨- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١١٣.

٤٩- ابن المبرد، يوسف بن عبدالهادي (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م) نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق، ص٢٥، نشره حبيب زيات، مجلة المشرق، ١٩٣٩م، ص٢٢،٢٣، يشار إليه لاحقاً، ابن المبرد، نزهة الرفاق؛ جان سوفاجيه، دمشق الشام، ص١٩٧. Boaz, Opcit, p,49.

٥٠- ابن دقماق، الانتصار، ص ٣٢، ٣٣.

٥١- المصدر نفسه، ص٣٣.

٥٢- الحميري، محمد بن عبدالمنعم (من وفيات القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة بغداد، بيروت، ١٩٧٥م، ص١٨٣.

٥٣- ثغر ساحلي جبلي، يطل على البحر المتوسط على الطريق إلى أنطاكية. انظر ابن الجيعان، القول المستطرف، ص ٦٠-٦١.

٥٤- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٦. ابن دقماق، الانتصار، ص٣٢، ٣٣.

٥٥- ابن دقماق، الانتصار، ص ٣٢، ٣٣.

٥٦- ابن دقماق، الانتصار، ص ٣٢، ٣٣.

٥٧- نسبة للأمير جهاركس الخليلي (ت ٧٩١هـ/١٣٨٨م) أمير أخور الظاهر برقوق. انظر المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٤.

٥٨- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٥٨-٤٦٠.

ليلا، ويتجول في شوارع القاهرة صاحب العسس الذي عرف في هذه الفترة بوالي الطوف، وكان يقوم بمهمته بعد صلاة العشاء، ويسير أمامه حامل المشعل، وحوله عدد من الأعوان، وكثير من السقائين والنَجارين والقَصارين والحدادين، خوفاً من أن يحدث بالقاهرة حريق فيتداركون إطفاءه، ويعملون على إصلاح ما أتلفته النيران[٥٩].

ب- الأسواق المؤقتة.

عرفت مصر أيام المماليك نوعاً من الأسواق التي كانت تقام بصفة مؤقتة (موسمية أو سنوية) في مواقع تجمعات الناس حول مناسبة بعينها، سواء في مواقع العمل من أجل بناء جسر على نهر، أو شق ترعة أو بناء جامع أو مدرسة، أو في الاحتفالات ذات الطابع الديني، أو في ميادين الحروب [٦٠]. ولدينا عدة أمثلة التي تحدثنا مصادر ذلك العصر عنها، إذ يحدثنا ابن إياس عن السوق المؤقت الذي أقيم بمناسبة الاحتفالات بمولد أحد الأولياء، فيقول في حوادث سنة ٧١٧هـ "كانت ليلة سيدي إسماعيل الأنبابي ببولاق....وصنعوا هناك سوقا بدكاكين مبنية، ونقلوا إليه من سائر البضائع الفاخرة..." ويقول في حوادث سنة ٧٢٠هـ " كان بالرمل سوق حافل بدكاكين مبنية؛ ونقلوا إليها أفخر البضائع " [٦١]. ويبدو من هذه العبارة أن دكاكين السوق كانت تبنى وربما تظل خاوية حتى موعد الاحتفال بالمولد فينقلون إليها البضائع [٦٢]. أما الأسواق التي كانت تقام في مواقع العمل فإن لدينا مثالا عليها فيما ذكره المقريزي في حوادث سنة ٧٢٣هـ بعد إغراق فيضان النيل بعض الأراضي، وبدأت الاستعدادات لبناء جسر لمنع مياه الفيضانات، وفي موقع العمل نصبت الأسواق واستمر العمل قائما مدة عشرين يوماً، وتكرر الأمر سنة ٧٣٧هـ حين خرجت طوائف المصريين إلى موقع العمل لبناء أحد الجسور ومعهم الطبول والزمور[٦٣]، وعملت المأكولات ونصبت الأسواق في مواقع العمل [٦٤].

٥٩- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٦.

٦٠- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط١، دار دمشق للطباعة، دمشق، ١٩٨٠م، ص٢٣٤.

٦١- ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٩.

٦٢- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٤ أجزاء، تحقيق محمد أمين وسعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٢، ص٤٧٣.

٦٣- المقريزي، الخطط، ج١، ص١٦٦.

٦٤- المقريزي،الخطط،ج٢، ص٩٦،٩٧. المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٦١٠، ٧٥٧، ج٣، ص١٠٩٦. ج٤، ص٤٤٢؛ الحنبلي، مجير الدين عبدالرحمن بن محمد (ت٩٢٨هـ/١٥٢١م)الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٩هـ. ج٢، ص٥٤؛ ابن الصيرفي، علي بن داود(ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م) نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ٣ أجزاء، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ج٣، ص١٥٠؛ ابن طولون، شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٢م، ج١، ص٢٢٥؛ ابن صصرى، محمد بن محمد (ت٨٠٠هـ/١٣٩٧م) الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليام برينر، بركلي، لوس أنجلوس، ١٩٦٣م، ص١٧٣؛ ابن الشحنة، أبو الفضل محمد بن الشحنة (ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م)الدر

ثانياً: السلع التجارية.

تنوعت السلع التجارية المتداولة في الأسواق المملوكية بتنوع مصادرها، فقد أسهمت السلع المحلية بصورة أساسية في النشاط التجاري للدولة. وكانت حركة الأسواق تتمثل في استقبال السلع التجارية الواردة إليها عن طريق الموانئ المملوكية المتعددة على سواحل البحرين المتوسط والأحمر، وطرق القوافل البرية التي ربطت بين النيابات المملوكية، والمناطق المجاورة لها في أفريقيا والعراق والأناضول والجزيرة العربية. وخضعت عملية تسويق السلع لعدة عوامل، من أبرزها: قضايا العرض والطلب، والممارسات الاحتكارية لسلاطين الدولة من خلال المتجر السلطاني، وتجارة الأمراء المماليك والأهمية الاقتصادية لهذه السلع كمادة أساسية لتغطية حاجات المطبخ السلطاني، وكبار الأمراء والأعيان وضرورات التجهيزات العسكرية، وأقوات الناس، يضاف إلى ذلك السلع التي شكل الاتجار بها جزءاً من دخل الدولة، وقاعدة مهمة في التبادل التجاري مع الدول الأخرى. وشهدت حركة أسعار السلع التجارية حالات متعددة من عدم الاستقرار، نتيجة عدم انتظام وصول السلع التجارية إلى الأسواق وحركة التجارة بين النيابات المملوكية، وتأثر الإنتاج المحلي- لا سيما في مصر- بنهر النيل من حيث الزيادة والنقصان. وتعرضت بالمقابل لموجات من القحط وانحباس الأمطار والصقيع والجراد والآفات الحشرية، وعانى التجار والفلاحون والصناع من الضرائب الباهظة، والمصادرة والنهب، وأسهمت الفتن والحروب بين الفئات المملوكية في اضطراب الحركة التجارية، وظهرت من خلال هذا كله حالات من ارتفاع الأسعار وفقدان الأقوات، وانتشار الأوبئة والطاعون، وتركزت عامة الفعاليات للدولة في أسواقها المحلية، ولا تشير المصادر المعاصرة إلى دور المماليك في نقل الإنتاج المحلي إلى الخارج، إذ اقتصر دورهم التجاري على تسويق السلع المنتجة محلياً[٦٥]، أو إعادة توزيع السلع القادمة إلى الأسواق المملوكية بما يتلاءم وسياسة المماليك التجارية. واهتم سلاطين الدولة وأمراؤها بتوفير السلع التجارية المعدة للتصدير، فعملوا على احتكارها عن طريق المتجر السلطاني، ومنحوا العديد من الامتيازات والتسهيلات للتجار الأوروبيين، مثل تأمين وصول السلع التجارية التي تحتاج إليها دولة المماليك البحرية، وتطوير الصلات التجارية بين الطرفين عن طريق المعاهدات التجارية التي عقدت بين الجانبين، والتي كان من أهدافها السلع التجارية وتنظيم المعاملات التجارية في الأسواق المملوكية.

أنواع السلع التجارية:

ارتبطت حركة السلع التجارية في الأسواق المملوكية بمستوى المعيشة، وحاجات السكان الأساسية وعاداتهم، والنشاط التجاري للدولة. وتمثل الغلال والأعلاف واللحوم والتوابل والأقمشة

المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٤م، ص٢٥٧، ٢٤٨-٢٥٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٩٥.

٦٥- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط١، دار دمشق للطباعة، دمشق، ١٩٨٠م، ص٢٣٤.

والزيوت والفواكه والمعادن والرقيق أهم السلع التجارية لدولة المماليك البحرية، إضافة إلى أنواع أخرى مثل البذور والأخشاب والورق والزجاج والعنبر والحشيش والأسلحة وأدوات الزينة، والسلع الدوائية التي تشتد الحاجة إليها وقت الأمراض والأوبئة. ويمكن تقسيم السلع التجارية إلى الأقسام الآتية:

أولاً: السلع المعدة للتصدير:

١- المنتجات الزراعية.

أ- الغلال.

يعد القمح والشعير والفول من السلع الأساسية في المجتمع المملوكي، وكان مصدرها الصعيد(٦٦) والأرياف المصرية(٦٧) وحوران والبلقاء والرملة من بلاد الشام(٦٨). واعتمدت مكة في حاجاتها من القمح على ما يصلها من مصر على صورة صدقات يرسلها سلاطين المماليك(٦٩)، إضافةً إلى ما تستورده أحياناً أو سنوياً من سواكن(٧٠)، واليمن(٧١)، والمناطق المجاورة(٧٢). ولجأت الدولة إلى استيراد الغلال من قبرص(٧٣)، لا سيما في موسم القحط والجفاف أو عند تجهيز الحملات العسكرية، وتظهر رواية الأسدي مدى استهلاك القاهرة من القمح، فكانت حاجتها في كل يوم ألف أردب (٦٩٦٠٠كغم)، منها خمسمائة أردب (٣٤٨٠٠كغم) لأصحاب المؤن والرواتب السلطانية والأمراء وغيرهم من المدارس والخوانق وغيرها، ومنها خمسمائة أردب متعلقة بالدواليب والطواحين والأفران والمقاعد التي يباع فيها الخبز في الشوارع(٧٤). وبيع في الأسواق

٦٦- المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨.

٦٧- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٧٩٩.

٦٨- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٣٥. ج٤، ص٧١١، ١٠٧٩؛ المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت٨٤٥هـ-/١٤٤١م) إغاثه الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى وجمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٤٤، ٤٦؛ ويشار إليه لاحقاً، القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ص٣٢٢.

٦٩- ابن قاضي شهبة، أبو بكر احمد بن محمد (٨٥١هـ-/١٤٤٧م) تاريخ ابن قاضي شهبه، ج١، المعهد الفرنسي للدراسات، دمشق، ١٩٧٧م، ص٥٧٨؛ العيني، بدرالدين محمود(ت٨٥٥هـ-/١٤٥١م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبدالرزاق الطنطاوي، مطبعة علاء، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٥٢؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (٩٠٢هـ-/١٤٩٦م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢جزء، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، ص١١؛ انظر دفتر مفصل خاص أمير لواء الشام، طابو دفتري٢٧٥سنة ٩٥٨هـ\١٥٥١م، ص٤٦، ٤٦.

٧٠- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ-/١٤٢٨م) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٨أجزاء، تحقيق فؤاد سيد وآخرون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٨-١٩٦٧م، ج٢، ص٢٧٤؛ الفاسي، العقد الثمين، ج٤ ص٨٨، ١٩٩، ١٣٤، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٥٣١.

٧١- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ-/١٤٢٨م) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جزآن، حققه لجنة من العلماء، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٩٦٥م، ج٢، ص٢٧٤.

٧٢- الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٧٥؛ العقد الثمين، ج٢، ص٢٢١.

٧٣- الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٧٥.

٧٤- الأسدي، محمد بن خليل الأسدي (وفيات القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار، التيسير، ص١٤٢، ١٤٣. تحقيق عبدالقادر طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٤٤.

المملوكية أنواع أخرى من الغلال كالذرة[٧٥]، والأرز[٧٦]، والحمص[٧٧]، ووجد من هذه الأنواع أكثر من صنف ما بين الجيد (الطيب) والرديء[٧٨]. وتولى السماسرة بيع الغلال ومراقبة شحنها، وضمان وصولها إلى مراكز بيع الغلال[٧٩]، بساحل بولاق شمال غرب القاهرة، وهو ما عرف بساحل الغلة[٨٠]، لا سيما بعد أن تكرر فقدانها من الأسواق[٨١]، وارتفاع أسعارها[٨٢]. وارتبطت سلع الخبز والدقيق والبقسماط(الكعك) حيث توفرها في الأسواق وارتفاع أسعارها[٨٣] بحركة أسعار القمح ومدى وفرته، وعانت القاهرة والمدن المملوكية الأخرى بما عرف آنذاك بأزمة الخبز، فشهدت حالات كثيرة من الغلاء وفقدانه من الأسواق[٨٤]. وشكل التبن والبرسيم مادة مهمة، كعلاف للدواب السلطانية والجيش المملوكي، وكان التبن يجلب من ضواحي القاهرة والأرياف

٧٥- الأسدي، محمد بن خليل الأسدي (وفيات القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار، التيسير، ص١٤٢، ١٤٣ تحقيق عبدالقادر طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٤٤.

٧٦- السخاوي، التبر المسبوك، ص٣٤٧؛ القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج٢، ص٣٦١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٨٣.

٧٧- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٢٠، ١١٧٣؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٦٥٢؛ العيني عقد الجمان، ص٦٥، ٧٤؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧١؛ السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٢، ص٣٣٣؛ القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج٢، ص٣٥٩، الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص٢٨٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٨٥، ج٣ص٢٣٤؛ ابن طولون، شمس الدين محمد (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٢م، ج١، ص٩٠؛ الأسدي، محمد بن خليل الأسدي (وفيات القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار، تحقيق عبدالقادر طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٤٤.

٧٨- الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٧٧؛ العيني، عقد الحمان، ص١٦٥، ١٩٧؛ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢٧٦، ٥٢٠، ج٣، ص٢٣.

٧٩- ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٩٥.

٨٠- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٧١١، ٨٧٢؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٤ أجزاء، تحقيق محمد أمين وسعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٢، ص٥٢؛ ابن طافور، رحلة طافور، ص٦٤.

٨١- المقريزي، السلوك، ج ٣، ص١١١٦؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ،ج١ص٣٠؛ العيني،عقد الجمان، ص٢٥٢؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٢٥٩.

٨٢- المقريزي، إغاثة الأمة، ص٤١، ٤٢؛ السلوك، ج٣، ص١١٦٠، ج٤، ص٧١١؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٣٠.

٨٣- المقريزي، إغاثة الأمة، ص٤١، ٤٢؛ السلوك، ج٣، ص١١٦٠، ج٤، ص٧١١؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٣٠؛ صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص٢٠٨؛ العيني، عقد الجمان، ص٦١، ٦٥، ٧٤؛ ابن تعزى بردى، النجوم، ج١٢، ص٣١٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٤٨؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٢٦١؛ ابن حصرى، الدرة المضيئة، ص٧٠،١٣٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٣٧، ٢٣٨، ج٤، ص٣٠٢.

٨٤- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٦٦، العيني، عقد الجمان، ص١٩٧، ٢٣٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٣٢؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٢٦٠-٢٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٠٢، ٥٥٤، ٥٥٥، ٦٩٣، ٧١٥، ج٢، ص٢٤، ١٠٤.

ومناطق الصعيد في مصر[٨٥]، وارتبط توافره بإنتاج الغلال، وتسببت سنوات القحط وقلة الإنتاج في اشتداد الطلب عليه من قبل المماليك، الذين لجاءوا في بعض الأوقات إلى مصادرته من الأسواق واحتكاره، مما أدى إلى ارتفاع أسعاره وقلة المعروض منه في الأسواق[٨٦]. فقد عز وجود التبن في القاهرة، فخرج المماليك إلى الضواحي في طلبه لخيولهم، وأخذوه من أصحابه بالقوة، فامتنع الناس في الأرياف من تسويقه إلى القاهرة، فأرسل السلطان غلمانه لشرائه من الأرياف، واشترى الحمل بمائة درهم، وباعه السلطان تحت القلعة بمائة وأربعين درهماً، كما منع المماليك من الخروج إلى الضواحي في طلب التبن، وفرض عليهم شراء التبن من تحت القلعة[٨٧]، وفقدت الغلال بالوجه القبلي[٨٨]، أما البرسيم فقد بيع أخضر[٨٩]، أو على هيئة دريس (جاف) حيث يباع بالقتة[٩٠].

ب- الزهور وماء الورد.

اشتهرت مصر بماء الورد الممتاز[٩١]، وعرف في ماء الورد الذي يستخرج بالباب من أعمالها، وهو من النوع الممتاز أيضاً، وينافس بجودته الممنوع منه في دمشق[٩٢]، وكان في القاهرة محلات كثيرة لبيع الورود[٩٣]، وبيع ماء الورد في أسواق القاهرة لحاجة المرضى إليه[٩٤]، وبيعت باقة البنفسج في القاهرة بمائة وخمسين درهماً من الفلوس[٩٥]، وبيعت في القاهرة كل ألف وردة بعشرين درهماً[٩٦].

٨٥- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٦٦، ج٣، ص١١٢٠؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٣٠؛ العيني، عقد الجمان، ص١٦٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم، ج١٣، ص١٣، ج١٥، ص٣٩٩٦؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٥٢٠؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٢٥٩، ٢٦٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٠٢، ٦٩٣، ج٢، ص٢٤، ١٠٤.

٨٦- السخاوي، التبر المسبوك، ص٣١٢؛ السخاوي، ذيل، ج٢، ص٢٠٥، ٢٠٧.

٨٧- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١١٦، ١١١٢، ج٤ق١ص١١٦؛ العيني، عقد الجمان، ص١٩٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم، ج١٥، ص٥٤٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٣؛ السخاوي، ذيل، ج٢، ص٤١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٨٨، ج٤، ص١٣٩.

٨٨- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٧٨٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٢.

٨٩- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٢.

٩٠- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٠٠، ١١٠١؛ العيني، عقد الجمان، ص١٦٥؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٥٢٠؛ السخاوي، ذيل، ج٢، ص٢٠٥، ٢٠٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٢٢، ج٣، ص٥٥، ٥٦، ٢١٣، ٢٢٤؛ القتة: الحزمة من القش أو من القصب لا يعرف وزنها.

٩١- المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٠٢، ٢٠٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢٤؛ ابن إياس، نشق الأزهار، ص٩٦؛ الجزيري، الدرر، ص٤٠٩، ٤١٠.

٩٢- ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١٥١. cucci, frescobaldi , Sigoli, Visit, to the holy places of Egypt, Sinai, Palestine and Syria, p, 182.

٩٣- ابن المبرد، نزهة الرفاق، ص٢٣-٢٧. .Sigoli, Visit, p, 86.

٩٤- ابن المبرد، نزهة الرفاق، ص٢٣-٢٧. .Sigoli, Visit, p, 86.

٩٥- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٥٢.

٩٦- المصدر نفسه، ج٤، ص٣٧٢، ٣٧٣.

ج- السكر.

تركزت زراعة قصب السكر وصناعة السكر في الأرياف المصرية وضواحي الإسكندرية ودمياط[٩٧]، وكان السكر على عدة أنواع[٩٨]، منها السكر البياض (النقي) وهو النوع الجيد[٩٩]، والسكر النبات[١٠٠]، والسكر الأسود وهو من الطبخة الثانية[١٠١]، وأقل جودة من السكر البياض، وكانت تجارة السكر وصناعته زمن الأشراف برسباي (ت٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) من صلاحيات المتجر السلطاني[١٠٢].

د- الفواكه.

تعددت أنواع الفواكه في الأسواق المملوكية، فقد اشتهرت بأنواع الفواكه المختلفة كالمشمش، والتفاح، والتين والعنب بأنواعه الداراني والزيني، والكمثرى، والدراق، والشمام، والموز[١٠٣]، وكانت تعرض بالأسواق في سلال ويعمد بعض التجار لوضع الثلج عليها حتى تبقى طازجة وباردة[١٠٤]. وبيعت الفواكه في أسواق القاهرة والإسكندرية لا سيما البطيخ العبدلي، والبطيخ الصيفي، والموز، والرمان، النارنج، وكانت هذه الفواكه تصل إلى المدن الرئيسة في مصر من الأرياف والضواحي[١٠٥].

هـ- الزيوت.

عرفت الأسواق المملوكية عدة أنواع من الزيوت المنتجة محلياً، هي البلسم (البلسان) [١٠٦]، وزيت الزيتون وهو الزيت

٩٧- ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٨١.

٩٨- الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٣٥؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣ص١٨٥؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٣٣؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٤١-٤٧.

٩٩- ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٣؛، Sigoli , Visit pp, 40, 41.

١٠٠- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٧٩٢؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٤٦؛ عبدالودود برغوث، جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ص٤٠٤-٤٠٦.

١٠١- المقريزي، السلوك ج٣، ص١١٢٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٨٨.

١٠٢- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٢٥.

١٠٣- الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص١٤٥، ١٤٨، المقريزي، السلوك، ج٤، ص٨٢٣، ٨٢٤، ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٨٥، السخاوي، التبر المسبوك، ص٣٤٧، ابن طفور، رحلة طافور، ص٧٨.

١٠٤- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٩٦٤، ٩٧٢، السخاوي، التبر المسبوك، ص٣٤٧، القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١ص٢٢٦، ٣٣٦، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٥.

١٠٥- القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ص٢٩٦، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١١١.

١٠٦- نعيم فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٣٧٣.

Wansbrough،John. " Venice and Florence In The Mamluk Commerical Privileges " Bulletin of The School of Oriental and African Studies. Vol. 28 (1965) pp. 483-Betrandon De La Brocquiere, Early Travels In Palastine. Edited with notes by Thomas Wright. AMS. Press. New York. 1969.، pp, 498, 499 ؛, p 302.

الطيب[١٠٧]، وزيت السيرج المستخرج من السمسم[١٠٨]، وزيت القطن الذي عرف بمصر بالزيت الحار[١٠٩]، وزيت الفجل[١١٠]. اشتهرت مصر بتجارة زيت البلسم، الذي استخدم للعلاج[١١١]، وكان به اعتقاد خاص عند الأوروبيين، فلا يتم تعميد النصارى حتى يوضع شيء منه في ماء العمودية[١١٢]، ويستخرج هذا الزيت من زهرة شجر يزرع في مصر عرف بنفس الاسم، وكان الطلب عليه شديداً، وثمنه غالياً لقلة كمية الزيت المستخرجة منه، ويشير طافور إلى أنه لم يكن زيتاً خالصاً، فقد عمد المنتجون له إلى غشه عن طريق أخذ غصون الشجر وغليها في الزيت، ويباع كله على أنه زيت خالص، واشتهرت ألأراضي المصرية[١١٣] بإنتاج زيت الزيتون والاتجار به[١١٤]، وكان يحمل منها إلى المناطق المجاورة[١١٥]، ويصدر زيت الزيتون إلى اليمن[١١٦]، والعراق[١١٧]، واعتمدت القاهرة في حاجتها لزيت الزيتون على ما يصلها من إنتاج الفيوم[١١٨]، وما تستورده من بلاد الشام[١١٩]، ومن خارج الدولة لا سيما صفاقس في تونس[١٢٠]، وكان السمن من السلع الأساسية التي بيعت في الأسواق المملوكية[١٢١]، كما يرتبط بالزيت صناعة الصابون[١٢٢].

١٠٧- أبو البقاء البدري، نزهة الأنام، ص٨٣، ٨٤، ٩٢، ١١٨، ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٣، ابن صصرى، الدرة المضيئة، ص١٤٠، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٩٠، ٧٣٠، ابن إياس، نشق الأزهار، ص٢٤٥، ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٩٧. Suriano, Treatise, p, 39

١٠٨- Sigoli, Visit, p, 183. وذكر طافور في رحلته ص١٧٤، أن التجار الأوروبيين نقلوا فواكه الشام إلى البندقية ومناطق أخرى من أوروبا.

١٠٩- ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٥١٧؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٧٣، ج٤، ص٤٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٩٠، ٥٧٢، ج٤، ص٧٦. Sigoli, Visit, p,161.

١١٠- شجر يزرع بالمطرية شمال القاهرة، له ورق يشبه ورق الملوخية، قوى الرائحة، ولكن رائحته غريبة، انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٥٧.

١١١- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٥، ١٩٣، ج٤، ص٩٦٤؛ العيني، عقد الجمان، ص٢٣٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٠؛ السخاوي، ذيل، ج٢، ص٢٠٥، ٢٠٧.

١١٢- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٧٣، ج٤، ص٦٢٠؛ العيني، عقد الجمان، ص١٩٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٣؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٣٨٧.

١١٣- ابن طفور، رحلة طافور. المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٠١،١١٠٠، ج٤، ص١٩٣.

١١٤- السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٢٦.

١١٥- المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٦، ٣٢٧.

١١٦- العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص٣٧٦، ٤٠٥؛ نعيم فهمي، طرق التجارة، ١٩٧٢م، ص٣٧٣.

١١٧- السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٣٢٧، ٣٢٨؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٣٨٧.

١١٨- شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ج١ص٨٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٨٧.

١١٩- ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١٤٩، ٢٥٠.

١٢٠- العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص٤٦٥.

١٢١- ابن إياس، نشق الأزهار، ص٢٤٥.

١٢٢- السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٣٢.

٢- المنتجات الصناعية.

أ- المعادن

وأهمها الشب والنطرون (كربونات الصوديوم) والملح والكبريت والنحاس والزمرد، ويستخرج الشب من الواحات والصعيد، وينقل منها إلى قوص وأخيم وأسيوط البهنسا، ومنها إلى الإسكندرية والقاهرة، وأكثر ما يباع منه في المتجر السلطاني بالإسكندرية، وتقدر كمية المنتج منه سنوياً بخمسة آلاف قنطار جروى (٤٨٧٥٠٠كغم)، وبيع منه في بعض السنين ثلاثة عشر ألف قنطار، وكان سعره من خمسة دراهم إلى خمسة دنانير وربع وسدس لكل قنطار[١٢٣]. ويستخرج معدن النطرون من منطقة البحيرة في مصر، من بلدة تسمى الطرانة، ومن منطقة الخطارة، ومعدن الخطارة أقل جودة وإنتاجا من نطرون البحيرة، وقد تضاعفت قيمة النطرون زمن القلقشندي وغلا سعره لاحتكاره من قبل السلطان، وبلغ القنطار منه ثلاثمائة درهم أو نحوها، وكان النطرون خالصاً للسلطان جارياً في الديوان المفرد، ويحمل إلى الإسكندرية والقاهرة فيخزن في الشون السلطانية تمهيداً لبيعه[١٢٤].

ووجد في بحيرة بوقير ملاحات كثيرة لاستخراج الملح، ويحمل منها، إلى بلاد الإفرنج وغيرها[١٢٥]. واحتكر بعض سلاطين المماليك تجارة الملح، وباعوه بأغلى الأثمان، وتتبعوا بائعيه خارج المتجر السلطاني[١٢٦]، فارتفع سعره وبيع الأردب منه بثلاثمائة درهم[١٢٧]، وكانت مصر تعتمد على إنتاجها المحلي من الملح، كما تستورده من قبرص عند الحاجة[١٢٨]. واشتهرت مصر بمعدن الزمرد، وحمل منها إلى جميع الأقطار[١٢٩]، وكان يستخرج من صحراء قوص[١٣٠]، كما بيع النحاس[١٣١]، والكبريت[١٣٢]، في أسواق القاهرة، وكانت قوافل الحج القادمة من بلاد التكرور تجلب معها إلى مصر الكثير من التبر[١٣٣]، ووجد في مصر النفط ومقاطع الرخام[١٣٤]، واشتهرت

١٢٣- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٢٤.

١٢٤- القلقشندي، احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق شوقي أبو خليل، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥م، ج٣، ص٤٥٥، ٤٥٦.

١٢٥- المصدر نفسه، ج٣، ص٤٥٥، ٤٥٦.

١٢٦- القلقشندي، احمد بن علي (ت٨٢١ه/ ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ج، تعليق محمد حسين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٣، ص٤٥٥، ٥٣٧؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩.

١٢٧- المقريزي، السلوك، ج ١، ص٢٩٥.

١٢٨- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٥٥.

١٢٩- ابن طافور،رحلة طافور، ص٦٩.

١٣٠- المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٨، السيوطي؛ حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٢٧، ٣٣٣.

١٣١- المقريزي، الخطط، ج١، ص١٩٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٤، ٤٨٥؛ الخالدي، المقصد، ص٨٤.

١٣٢- ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص٣٨؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٣٠٣.

١٣٣- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٥٥.

١٣٤- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٣٦٨.

بأعمال النحاس والزجاج والفضة والذهب(١٣٥)، وتميزت بصناعة الأدوات الفضية التي نقلت منها إلى جميع البلاد(١٣٦).

ب- أدوات الزينة.

عرفت أسواق القاهرة أدوات الزينة التي ازدهرت بوجود الفئات الغنية من نساء السلاطين وأمراء المماليك، وقد وصل قسم منها من الهند، لا سيما اللآلئ، والأحجار الكريمة والعطور وكل مشموم طيب الرائحة ومن القاهرة تحمل هذه الأصناف إلى مختلف أنحاء العالم(١٣٧). واشتهرت أسواق القاهرة أيضاً ببيع الخواتم والأساور والخلاخيل(١٣٨)، وكان في ميدان الرملية تحت قلعة القاهرة عدد من محلات بيع الجواهر، التي اختصت ببيع الزمرد والياقوت الأحمر والفيروز واللؤلؤ، وأصناف أخرى من الأحجار الكريمة(١٣٩). وكانت تجارة اللؤلؤ رائجة في هذه الفترة(١٤٠)، كما يستخرج اللؤلؤ من المغائص الواقعة بالقرب من ميناء عيذاب على البحر الأحمر(١٤١).

ج- الورق (القراطيس).

كان الورق من جملة السلع التي احتكرها المتجر السلطاني لحاجة الدواوين السلطانية لها(١٤٢)، واستوردت مصر عند الحاجة الورق من بغداد، وهو من الصنف الأول ويستخدم في الدواوين المصرية(١٤٣)، واستعمل الورق الشامي في الدواوين، وكانت الكفة منه خمسة وعشرون فرخه، ويستخدم في المكاتبات السلطانية حالة عدم توافر الورق المصري(١٤٤).

د- الأقمشة وما يتعلق بها.

تعددت أنواع الأقمشة المتداولة في الأسواق المملوكية، وارتبط هذا التنوع باستهلاك الخاصة والعامة، فهناك إلى جانب ملابس السلاطين، ملابس للأجناد والخلفاء والعلماء وملابس الطوائف الدينية غير الإسلامية، وملابس النساء، وساهم لباس سلاطين وأمراء المماليك في تحديد أنواع من الأقمشة، ابتدأ سلاطين المماليك بلبس الصوف الملون، وكانوا لا يلبسون إلا الأبيض فقط(١٤٥)، وهو ما عرف بالسلاريات، وهي من فرو السنجاب (١٤٦)، واختص السلاطين والأمراء بلبس

١٣٥- المقريزي، الخطط، ج١، ص١٩٤؛ الحميري؛ الروض المعطار، ص٤٨٤، ٤٨٥.

١٣٦- Sigoli, Visit, p, 143, Sigoli, Visit, p, 182

١٣٧- الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٢٣.

١٣٨- ابن طافور، رحلة طافور، ص٧٨، ٩٧.

١٣٩- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٧.

١٤٠- Sigoli, Visit, p, 46

١٤١- السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص١٣٩.

١٤٢- الخالدي، المقصد، ص١٧٨.

١٤٣- الأسدي، التيسير، ص١٤٥.

١٤٤- الخالدي، المقصد، ص١٧٧.

١٤٥- ابن الشحنة، البدر الزاهر، ص٥١، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١٧٨.

١٤٦- الحميري، الروض المعطار، ص٣٦٥، ٣٦٦.

الأقمشة الملونة من الحرير والصوف والفرو[١٤٧]. كما كانت أنعامات (خلع) السلاطين والأمراء على ندمائهم وجلسائهم وكبار موظفيهم من الصوف وفرو السنجاب وفرو السمور[١٤٨]، واستخدمت بعض الأنواع الثمينة من القماش والفرو للمهاداة بين الأمراء والسلاطين[١٤٩]، واستخدم الحرير في لباس النساء والأمراء والموظفين، والكتاب[١٥٠]. أما العامة فيلبسون في الصيف قماش القطن المقلم بالألوان، وفي الشتاء يحشى هذا القماش بالقطن أو البطانة، أما التجار وكبار الشخصيات فيلبسون أقمشة أوروبية والأقمشة المستوردة من بعلبك والموصل فيصنعون منها قمصانهم، والشاش الذي يلفونه حول طاقياتهم لصنع العمامة[١٥١]. ونتيجة لأهمية هذه الأنواع من الأقمشة واختصاصها بالخاصة من رجال الدولة، فقد وجد في الأسواق المملوكية فنادق خاصة لبيع الأقمشة الأوروبية كالساتان الموشى والمخامل [١٥٢]. تركزت صناعة الأقمشة المنتجة محلياً على المواد الخام المتوافرة في مصر وبلاد الشام، فقد اشتهرت دولة المماليك البحرية بتجارة القطن[١٥٣]، والكتان[١٥٤]، والملابس القطنية[١٥٥]، واشتهرت في هذه الفترة ثياب الجوخ البعلبكي[١٥٦]، والصوف الملون والمخمل، وفرو السمور والوشق والسنجاب[١٥٧]، وينسب الجوخ البندقي الفائق لكل نوع من الجوخ، وهو في الأصل مما كان يصل إلى الدولة من البندقية[١٥٨].

١٤٧- الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٧٥؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٠٠، ١١٠١؛ العيني، عقد الجمان، ص٢٣٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣ص٧٠؛ السخاوي، ذيل، ج٢ص٢٠٥، ٢٠٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٨٥، ح٢، ص٢٢٢؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١ص١٣٥.

١٤٨- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٠٧، ١٠٧٦؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٧٨، ٦٨٠؛ والسمور حيوان ثدي ليلي من الفصيلة السمورية من أكلات اللحوم يتخذ من جلده فرو ثمين يقطن شمال آسيا، ابن منظور، سان العرب، ج٨، ٤٤٨.

١٤٩- السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٨، ماير، الملابس المملوكية، ص٢٧، ٣١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٤٣٣، وانظر عن السلاريات (أردية من الصوف، أوجبة) المنسوبة إليه في ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص١١٥؛ ماير، الملابس المملوكية، ص٣١.

١٥٠- ابن الصيرفي، أنباء الهصر، ص١٣٤، ٣٩٤، ٤٠٩، ٤١١.

١٥١- ابن تغرى بردي، النجوم، ج١٥، ص٣٥٧، ج١٦، ص١١٨؛ ابن الصيرفي، أنباء الهصر، ص٣٩٥، ٤٠٦، ٤١٣، ٤٢٩، ٤٤٠، ٤٤١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٩؛ نسيج رقيق من القطن يضمد الجراح ويستعمل لفافة للعمامة، والشاشي منسوب إلى شاش بخراسان، ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ٣٦٥.

١٥٢- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٦٤٦.

١٥٣- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٦٧٠، ٦٧١؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج٢، ص٤٦٩، ج٣ص٥٥٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٦٧، ٧٦؛ ماير، الملابس المملوكية، ص٨٩ وما بعدها.

١٥٤- ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٧٤، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٩١؛ ماير، الملابس المملوكية، ص٤٠، ٤٢.

١٥٥- ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٨٠، ٥٨١.

١٥٦- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٤٥، ج٤، ص٢٨٠؛ ابن حجر، الدرر، ج١، ص١٩٠؛ كامل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، ج٢ص٤٤، ٤٦، ٧٨؛ Wansbrough, Venice, pp, 504-505, Sigoli, Visit, p, 143.

١٥٧- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٣٣٣؛ العيني، عقد الجمان، ص٢٥٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٣٣؛ القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ص٢٢٦، ٣٠٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٧٨.

١٥٨- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٨٤؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٤؛ السخاوي، التبر المسبوك،

واشتهرت دمياط وتنيس بالزر الأبيض المعروف بالدبيقي(١٥٩).

وبيع الحرير في القاهرة والإسكندرية وأسوان والبهنسا والفيوم(١٦٠)، وازدهرت في دمشق صناعة الأقباع والقصب المذهب(١٦١)، كما تميزت بصناعة الأقمشة الحريرية بجميع الألوان، وكانت من أفضل الأنواع في العالم(١٦٢)، وكذلك صناعة الأقمشة القطنية التي وصفها أحد الرحالة الأوروبيين بأنها من أجمل صناعات العالم، حتى يعتقد من يراها أنها حرير لجودة صناعتها(١٦٣)، ومن خصائصه أنفاق ما يجلب إليها من البضائع كالحرير والصوف والقماش العجمي، وأنواع الفراء، وسائر الوبر(١٦٤)، وجاء في الاتفاقية المعقودة مع تجار البندقية ألا يسمح للأجانب بامتلاك محلات لبيع الجوخ فيها، واشتهرت مدينة طرابلس بتجارة القطن الذي حمل منها إلى بلاد الإفرنج (١٦٥). واستوردت الدولة قسماً من حاجاتها للملابس من الدول الأخرى، فاستوردت الأقمشة عن طريق تجار البندقية(١٦٦). وكان يصل من الهند إلى أسواق القاهرة الأقمشة المصنوعة من القنب(١٦٧)، ومن الجند يجب إلى مكة وغيرها ملاحف القطن السحولية التي تنسب إلى وادي سحول بالقرب من الجند(١٦٨)، والأقمشة الصوفية من قبرص(١٦٩)، وتونس(١٧٠)، والثياب الموصلية من الموصل.

هـ - الأخشاب.

ص٣٦٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢ص٧٧؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢ص٣٢٦.

١٥٩- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٠٠، ١١٠١، ج٤، ص٢٥٦، ج٤، ص٨٠٠؛ العيني، عقد الجمان، ص٢٣٧؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٢٦؛ كامل العلسي، وثائق مقدسية، ص٣٨، ٦٠. Wansbrough, Venice, p, 504

١٦٠- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٠٩٨؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٣؛ العيني، عقد الجمان، ص١٩٩، ٢٣٧، ج٣، ص٢٤؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٣٤٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٤؛ كامل العسلي، وثائق مقدسية، ص٣٧، ٣٨، ٥٩.

١٦١- القلقشندي، صبح الأعشى،ج٥، ص٤٠٥؛ كامل العسلي، وثائق مقدسية، ص٣٧؛ فهمي، طرق التجارة، ص٣٧٥، ٤٥٨؛ Sigoli, Visit, p, 182؛الاقباع: أن يدخل الإنسان رأسه في قميصه أو ثوبه، يقال قبع يقبع قبوعا وانقبع أدخل رأسه في ثوبه، ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢٥٨.

١٦٢- الوطواط، مباهج الفكر، ص١٣٦، ١٣٧.

١٦٣- أبو البقاء البدري، نزهة الأنام، ص٣٦٤. Sigoli, Visit, p, 143

١٦٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٣٣٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٤٥؛ ابن صصرى، الدرة المضيئة، ص١٧٣؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٤، Sigoli, Visit, pp, 40, 41

١٦٥- Sigoli, Visit, p, 182.

١٦٦- ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٤.

١٦٧- فهمي، طرق التجارة، ص٤٢٨.

١٦٨- ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٤.

١٦٩- ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ص٥٨٠، ٥٨١.

١٧٠- ابن طافور، رحلة طافور، ص٧٨، ٩٧.

مادة استراتيجية مهمة، اعتمدت الدول في سد حاجاتها من الأخشاب التي تجلبها عادة من الجولان شمال سوريا، وكانت تتولى تجريده عسكرية هذه المهمة وقت الحاجة(١٧١).

كما استوردت قسماً من هذه المادة من أوروبا عن طريق تجار البنادقة، واستوردت خشب الأبنوس من الحبشة(١٧٢)، واستخدم في مصر وبلاد الشام أنواع من الخشب المحلي في صناعة السفن والمباني والأثاث والتحف(١٧٣)، فقد وجد في صعيد مصر خشب السنط الذي لا نظير له، لأنه بدون رماد، سريع الاشتعال بطيء الخمود(١٧٤)، ولا يوجد بمكة سوى خشب الدوم وخشب العرعر(١٧٥)، وتحتاج إلى خشب الساج الذي يجلب إليها من الهند، وخشب الصنوبر الذي يجلب إليها من بلاد الروم(١٧٦). اشتهرت مصر بصناعة القراطيس(١٧٧)، وعرف منها الورق والدست منه خمس وعشرون ورقة، والرزمة خمس دستات(١٧٨).

٣- الحيوانات ومنتجاتها.

تعد المواشي والطيور والأسماك من السلع التجارية الأساسية في الأسواق المملوكية، فقد بيع في أسواق القاهرة معظم أنواع الحيوانات لا سيما البقر والغنم والخيول والبغال والجمال والجواميس(١٧٩)، والدجاج والإوز وأنواع الطيور المختلفة(١٨٠). واستوردت الببغاوات والقطط من الهند(١٨١)، ومن مصر يحمل الطير إلى سائر البلاد(١٨٢)، واشتهرت برقة بثروتها الحيوانية(١٨٣)،

١٧١- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ص٦٧.

١٧٢- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٣٢، ٣٤٠، ٣٥٦.

١٧٣- فهمي، طرق التجارة، ص٢٤٩.

١٧٤- المرجع نفسه، ص٢٤٩.

١٧٥- المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٨؛ السلوك، ج٣، ص١٠٧٦، ج٤، ص٨٠١؛ القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ص٣٠٧.

١٧٦- ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١٨٩؛ القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ص٢٧٨؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص١٣٤، ١٣٥.

١٧٧- العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ص٣٧٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٣٣؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٤٩.

١٧٨- السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٢٧، ٣٣٣.

١٧٩- الحميري، الروض المعطار، ص١٧٦.

١٨٠- ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣ص١٤٦؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٧٦؛ القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ص٣٠٦.

١٨١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص١٠٨.

١٨٢- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٦١٠، ج٣، ص١٠٩٦،١١٣٤، ج٤، ص٥، ج٤، ص٧٠٧،٧١١؛ الخطط، ج٢، ص١٣٠؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٣٦٧،٤٢٨،٥١٠؛ ابن تغرى بردى، النجوم، ج١٥، ص٤٢٣،٤٣٦؛ ابن المبرد، المقريزي، نزهة الرفاق، ص٢٥؛ ابن الشحنة، الدر المنتحب، ص٥٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٨١، ج٣، ص١٥٠؛ النعيمي، الدارس، ج١، ص٥٠١، القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج٢، ص٣٨٠، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٩٧. Sigoli, Visit, p, 162

١٨٣- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٦؛ السلوك، ج٣، ص١١٢٤، ج٤، ص٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٨٨؛ Sigoli, Visit, p, 162

وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من أغنامها[١٨٤]، ويأكل أهل مصر صيد بحر الروم (المتوسط) وصيد بحر اليمن (الأحمر) طرياً[١٨٥]، ويوجد في ثغر دمياط من الأسماك والطيور ما لا يوجد في غيره، ويؤخذ منه إلى جميع البلاد طرياً وقديداً[١٨٦]. واشتهرت بتجارة الجلد الدمشقي الذي ينقل منها إلى اسطنبول لصناعة الأحذية الطويلة التي يستخدمها أهلها نظراً لبرودة الجو فيها[١٨٧]، كما استوردت مصر الجلد والصوف من منطقة برقة[١٨٨].

٤- السلع الدوائية.

ازداد الطلب عليها، وارتفعت أسعارها في أثناء الأوبئة والطاعون، وانتشار الأمراض والحميات[١٨٩]، ومن هذه السلع السكر نبات وبذر الرجلة والكمثرى[١٩٠]، والبطيخ الصيفي[١٩١]، وبذر القرع[١٩٢]، وحب أو بذر السفرجل[١٩٣]، وزهرة اللينوفر[١٩٤]، والحليب المجفف[١٩٥]، والسنامكي[١٩٦]، والترنجبين[١٩٧].

١٨٤- ابن طافور، رحلة طافور، ص٧٨.

١٨٥- السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٢٧.

١٨٦- الحميري، الروض المعطار، ص٩١.

١٨٧- ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٠.

١٨٨- المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٨.

١٨٩- الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٣٥.

١٩٠- ابن طافور،رحلة طافور، ص١٢٧.

١٩١- الحميري، الروض، المعطار، ص٩١.

١٩٢- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٨٢٦؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٣٩؛ القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١ص١٩٥، ١٩٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٨٧.

١٩٣- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٧٧، ج٤، ص٨٢٦؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج١، ص٢٣٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٨٧.

١٩٤- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٧٧؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ،ج١، ص٢٣٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٦، اللينوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة، له أصل كالجزر، يسقط عن رأسه ثمر بداخله بزر أسود يصبغ به، النويري، نهاية الارب، ج١١، ص٢٣٩؛ أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٥٥، ١٥٦، يشار إليه لاحقاً أدي شير، الألفاظ الفارسية.

١٩٥- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٥٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٧١٢، ٧١٣؛ الشيرخشك، نوع من المن، والمن كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو ينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ ينفع للسعال والصدر والرئة. الزبيدي، تاج العروس، (منن) النويري، نهاية الإرب، ج١١، ص٣٢٨، ٣٢٩؛ ابن البيطار، ضياء الدين عبدا بن أحمد الأندلسي، (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) الجامع المفردات الأدوية والأغذية، المطبعة العامرية، ١٢٩١ه، ج٣، ص٧٥. يشار إليه لاحقًا، ابن البيطار، الجامع.

١٩٦- ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٧٣٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج١١، ص١٦٨، ١٦٩، السنامكي، نبات يشبه الحناء، يصبغ به مع الحناء، يتداوى به فيسهل المرة الصفراء والبلغم والصدى، ابن البيطار، الجامع، ج٣، ص٣٦.

١٩٧- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٢٥؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٤١٣-٤١٦؛ الترنجين فارسي معرب معناه عسل الندى، يستخدم كملين، وينفع للسعال، ابن البيطار، الجامع، ج١، ص١٣٧، النويري، نهاية الأرب، ج١١، ص٢٣٩؛ أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٥٥، ١٥٦.

٥- السلع الأخرى.

بيع في الأسواق المملوكية أنوع أخرى من السلع التجارية، تتعلق بحياة الناس اليومية، وارتبط قسم منها بعاداتهم الاجتماعية، ومن هذه المبيعات أنواع الحلوى وما يتعلق بها، كالكنافة[١٩٨] والفستق[١٩٩]، وحلوى الخروب[٢٠٠]، وأنواع الحلاوة والدبس[٢٠١]، والزبيب[٢٠٢]، والتمور[٢٠٣]، وقمر الدين المصنوع من المشمش[٢٠٤]، والجوز[٢٠٥]، وأنواع الشراب والثلج[٢٠٦]. واشتهرت بصناعة الزجاج، لا سيما دمشق[٢٠٧]، وبيع في الأسواق المملوكية أنواع أخرى من الزجاج الذي أحضره التَجار من تونس[٢٠٨]، وتميزت مصر بإنتاج العسل، وهو من النوع الممتاز[٢٠٩]، ووصل إلى الدولة أحياناً كميات من فلورنسا[٢١٠]، ومن برقة[٢١١] كما بيع في أسواق مكة في أثناء الموسم[٢١٢]، وازدهرت تجارة العنبر في الأسواق المملوكية وكان يؤتى بها إليها من بحر الأندلس، ولكنه من النوع الرديء، ويشبه في لونه العنبر الشحري الذي يقذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر من أرض اليمن، وقسم منه إلى الحجاز[٢١٣]. وبيع في الأسواق المملوكية أنواع أخرى من السلع، كالسماق[٢١٤]، والبسط والحصر[٢١٥] والفحم[٢١٦] وعود الند والبورسلين (الفخار الصيني) والسجاد[٢١٧]، والحناء والقهوة [٢١٨]، وبيع الماء في الأسواق المملوكية[٢١٩]، والأطعمة

١٩٨- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٦٧.

١٩٩- ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٢، ص٦٤، ٧٣.

٢٠٠- المصدر نفسه، ج٢، ص٨١.

٢٠١- المصدر نفسه، ج٢، ص٦٧.ج٣، ص٣.

٢٠٢- المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٩.

٢٠٣- المصدر نفسه، ج٢، ص٤٦٧.

٢٠٤- المصدر نفسه، ج٣، ص١٨.

٢٠٥- المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٥.

٢٠٦- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٦٧. ج٥، ص٨١.

٢٠٧- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٠٠، ١١٠١؛ ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج١، ص١٨٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٧٦، ٥٧٢.

٢٠٨- ابن بطوطة، تحفة النظار، ج١، ص٨٠.

٢٠٩- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٠٠؛ السخاوي، ذيل، ج٢ص٢٠٥، ٢٠٧؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٣٧٦، ٣٨٧.

٢١٠- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٧٤.

٢١١- ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص١٣٥.

٢١٢- أبو البقاء البدري، نزهة الأنام، ص٣٦٤.

٢١٣- ابن صصرى، الدرة المضيئة، ص١٤٠؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص١٣٥؛ Suriano, Treatise, p, 39

٢١٤- ابن قاضي شهبه، تاريخ، ج١، ص٢٧٨.

٢١٥- Sigoli, Visit, p. 143

٢١٦- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص١٠٨.

٢١٧- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٣٣؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٣٧٦، ٤٨٠؛ السيوطي، حسن

المطبوخة[٢٢٠] وبيض الدجاج[٢٢١] والأجبان والألبان[٢٢٢]، التي كانت تجلب إلى القاهرة من الجيزة وقليوب والمنيا وشبرا[٢٢٣] وعرف من الأجبان، جبن الجاموس، وجبن الحلوم [٢٢٤]، والجبن المقلي[٢٢٥]، وجبن الشرائح والأزرار[٢٢٦]، وبيعت اللحوم في الأسواق المملوكية على عدة أنواع، منها اللحم الضاني السليخ، والسميط (ما أخرج منه العظم)[٢٢٧]، واللحم البقري[٢٢٨] ولحم الجمال[٢٢٩]. ويشتد الطلب في مواسم الزراعة على البذور والتقاوي، وعرف منها في الأسواق المملوكية بذر البطيخ السمرقندي الذي كان يزرع في حلب، وتمت تجربته في مصر[٢٣٠]، وبذر القرع، والجزر، والبصل[٢٣١]، والحمص وحب البرسيم[٢٣٢]. ومن المبيعات الأخرى، الأسلحة والملابس العسكرية، فقد ازدهرت تجارة القسي والنشاب والسيوف والسكاكين[٢٣٣]، وافتتح بالأسواق المملوكية العديد من المحال التجارية التي اختصت ببيع التجهيزات والملابس العسكرية[٢٣٤]. انتشرت في القاهرة تجارة المخدرات، لا سيما الحشيش، الذي كان يزرع بأرض الطبالة، التي عرفت بالجنينة، ووصفها المقريزي أنها من أخبث بقاع الأرض، وأن الحشيش

المحاضرة، ج٢، ص٣٢٦؛ السخاوي، ذيل، ج٢ص٢٠٥، ٢٠٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٢٢.

٢١٨- نعيم فهمي، طرق التجارة، ص٤٥٣.

٢١٩- الحميري، الروض المعطار، ص٩١.

٢٢٠- ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص١٣٥.

٢٢١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٢٣، ١٢٤.

٢٢٢- ابن إياس، نشق الأزهار، ص٢٤٥.

٢٢٣- ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص٤٠، ٤١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٦٥؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج٢، ص١١٦.

٢٢٤- الخالدي، المقصد، ص٨٤؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٤، ٤٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٥٥.

٢٢٥- نعيم فهيم، طرق التجارة، ص٣٧٣.

٢٢٦- ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٠.

٢٢٧- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٦٢؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٣١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٧٢٨؛ رحلة طافور، ص٩٧، ٩٨؛ Frescobadli, Visit, p. 49

٢٢٨- القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج٢، ص٢٤٥؛ رحلة طافور، ص٩٧، ٩٨؛ .Frescobadli, Visit, p. 49 .Sigoli, Visit, p, 162

٢٢٩- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٣٣.

٢٣٠- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٣٣، ج٤، ص٧٠٧؛ الأسدي، التيسير، ص١٤٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٨١؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٣٣٧.

٢٣١- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص١٦٨.

٢٣٢- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٣٣؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٠؛ ابن ايأس، بدائع الزهور، ج١، ص٢١٨.

٢٣٣- العيني، عقد الجمان، ص١٦٥، ١٩٧، ٢٣٧، ٦٤٨؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٨١، ٥٢٠، ج٣، ص٢٣.

٢٣٤- ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٠.

انتشر في عهده انتشاراً زائداً، وولع به أهل الخلاعة والسخف، وتظاهروا به غير احتشام[٢٣٥]، أما الأفيون وهو عصارة الخشخاش، فقد اعتبر من السلع العلاجية وأشار المقريزي وابن إياس إلى منافعه، وأنه كان يصدر إلى سائر البلاد لا سيما الهند[٢٣٦]. كانت تجارة الخمر من التجارات الرائجة في دولة المماليك البحرية[٢٣٧]، واهتم بها بعض سلاطين المماليك، فقد ذكر ابن إياس أن السلاطين كانوا منهمكين على اللذات لا يعو من السكر ليلاً ونهاراً[٢٣٨]، حتى غلا العنب في أيامهم من كثرة ما يعصرونه[٢٣٩]، وعرفت الأسواق المملوكية من المسكرات، القمز[٢٤٠]، وصنع خصيصاً لمجالس السلاطين والأمراء واحتفالاتهم، وهو عبارة عن لبن محمض يتم تخميره، ومنها البوزة والأصل فيها عصير محلى بالسكر، يصنع من ماء القمح والشعير، ولكنها تحولت إلى نوع من المسكرات، بعد أن تم تخميرها في أوانٍ فخارية[٢٤١]، وحاول بعض السلاطين الحد من هذه الممارسات.

ثانياً- السلع المستوردة.

استوردت مصر بعض السلع التجارية، ومنها:

١- المنتجات الزراعية.

أ- التوابل والبهارات: عد الفلفل من أبرز أنواع التوابل وأهمها وأكثرها طلباً في أوروبا حتى بلغ من أهميته أن سددت به أثمان الأراضي والقروض [٢٤٢].

وتعد الهند واندونيسيا من أشهر مناطق إنتاجه حيث سميت المليبار[٢٤٣] من بلاد الهند نسبة له (بلاد الفلفل)**.** ولكثرته يصفه ياقوت: "ومنها يجلب إلى جميع الدنيا " وكان الفلفل يشحن بالسفن إلى

٢٣٥- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٠٩، ٥٥٠، ج٣، ص١١٢٤، ص٦٧٨؛ العيني، عقد الجمان، ص١٦٥، ١٩٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٥٢٠، ج٣، ص٢٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٤٢، ٣٧٠، ٦٨٩، ج٢، ص٢٢٢.

٢٣٦- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٠٩، ٥٥٠، ج٣، ص١١٢٤، ج٤، ص٦٧٨؛ العيني، عقد الجمان، ص١٦٥، ١٩٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٥٢٠، ج٣، ص٢٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٤٢، ٣٧٠، ٦٨٩؛ Sigoli, Visit, p, 162

٢٣٧- المقريزي، الخطط، ج، ٢ص١٠٠، ١٠٣، السلوك، ج٣، ص١١٣٤؛ البصروي، تاريخ، ص١٤١؛ ابن المبرد، نزهة الرفاق، ص٢٥-٢٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٥٠.

٢٣٨- المقريزي، الخطط، ج٢ص١٢٦-١٢٩؛ انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٢.

٢٣٩- المقريزي، الخطط، ج١، ص٢٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٢٢.

٢٤٠- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١١٣، ١٣٠؛ السلوك، ج٣، ص٨٥٣، ٩٠٢، ج٤، ص٢٧٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٨٠، ٣٨٤، ٤١٠، ج٢، ص١٢٢.

٢٤١- ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٨٢٢.

٢٤٢- بتروف:الكسندر، العلاقات التجارية بين آسيا وأوروبا الغربية إبان القرون الوسطى، منشورات علم الاستشراف السوفيتي، موسكو، ١٩٨٧، ص٧٣.

٢٤٣- المليبار: إقليم كبير وعظيم يشتمل على مدن كثيرة، يقع في بلاد الهند، ياقوت: أبو عبدا ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦، ج٥، ص١٩٦. يشار إليه لاحقاً، ياقوت، معجم البلدان.

عدن ثم الإسكندرية [٢٤٤]، وهو من السلع التي اختص بها المتجر السلطاني[٢٤٥]، وبدأ احتكارها من قبل سلاطين المماليك[٢٤٦]، وكانت السفن تصل إلى جدة محملة بالتوابل، ثم يقوم تجار المماليك، بنقلها على الجمال وعبر نهر النيل إلى أسواق القاهرة والإسكندرية[٢٤٧]، وهناك يتم بيعها للتجار الأوروبيين أو لحاجات الاستهلاك المحلي. ومن هذه المنتجات **القرفة**، وكانت من أهم السلع المستوردة من الهند وسيلان والصين، وتستخدم القرفة في حفظ الأطعمة وتتبيل اللحوم وتدخل في تركيب بعض الأدوية [٢٤٨]، وشجرتها تشبه شجرة الصفصاف إلا أنها تفوقها ارتفاعا، وأجود ما فيها لحاؤها وأغصانها. وذكرت القرفة ضمن السلع التي كانت تستورد من الشرق عبر عدن[٢٤٩]. **القرنفل، وقد** اشتهرت الهند وجزر الصين بزراعته وإنتاجه. وشجرة القرنفل كشجرة الياسمين، تجمع هذه الأزهار قبل سقوطها على الأرض، وتنقع في الماء إلى أن تصلح، ثم تجفف وتباع للتجار[٢٥٠]. **الزنجبيل**، وقد زادت أهميته نتيجة لاستخدامه في تركيب الأدوية، إضافة إلى استعماله في الطعام وتحضير الخمور وحفظها، وكانت أشهر مناطق إنتاجه في الهند بلاد المليبار[٢٥١] ويصل إلى أوروبا عن طريق مصر.

ب- العقاقير الطبية: وإلى جانب التوابل والبهارات كانت بعض السلع تستخدم بصفة رئيسة في تركيب العقاقير الطبية، منها الراوند والكافور والإهليلج وغيرها، ويعد الكافور أهم هذه السلع، واشتهرت به مناطق الهند والجزر الهندية [٢٥٢]، ومن العقاقير الطبية الإهليلج وتفيد في علاج أمراض المعدة والأمعاء والبصر ومصدره الهند[٢٥٣].

أما الراوند [٢٥٤] فيستخدم كذلك في صناعة الأدوية ويفيد في علاج أمراض المعدة والكبد

٢٤٤- المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٦، ١٩٧.

٢٤٥- ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٨٨، ج٤، ص٧٦.

٢٤٦- ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٤٨.

٢٤٧- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٦٤٧، ٦٥٧، ٧٩٥، ٧٩٦؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٤٦، ١٤٩، ١٥٠؛ القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج١، ص٣٠٧.

٢٤٨- ابن البيطار، الجامع، ج١، ص ٨٣-٨٤؛ الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي(ت٥٧٠هـ/١١٧٤م) الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق فهمي سعيد، دار ألف باء، بيروت، ص٥٩، يشار إليه لاحقاً، الدمشقي، محاسن التجارة؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٠٢.

٢٤٩- ابن البيطار، الجامع، ج١، ص ٨٣-٨٤؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٠٢.

٢٥٠- ابن البيطار، الجامع، ج١، ص ٨٣-٨٤؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٩.

٢٥١- ابن البيطار، الجامع، ج١، ص ٨٣-٨٤؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٩؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٠٢.

٢٥٢- الراوند، أبو عبدا محمد (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ج١، ص٨٨-٨٩-١٣٧، يشار إليه لاحقاً، الإدريسي، نزهة المشتاق؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٥٤؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٣.

٢٥٣- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٨٨-٨٩-١٣٧؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٣.

٢٥٤- الراوند: جذر نبات يستخرج من الأرض وهو رطب، وينظم في خيوط حتى تجف، ويعالج به أمراض الكبد والكلى، ابن البيطار، الجامع، ج٢، ص١٢٩-١٣١.

والكلى[٢٥٥]. وتنتجه مناطق واسعة من وسط آسيا، ويصل إلى أوروبا عن طريق مصر [٢٥٦].

ج- العطور والبخور: ومنها عود الند والمسك، وخشب الصندل، والعنبر والبخور وتستورد في معظمها من الهند والصين، ويأتي المسك على رأس قائمة المواد العطرية، وهو إنتاج حيواني يؤخذ من ظباء المسك [٢٥٧]. ومسك التبت [٢٥٨] أفضل الأنواع ويليه المسك الصغدي ثم الصيني[٢٥٩]. أما العنبر فكان ولا يزال على رأس قائمة المواد العطرية، واشتهرت الهند وجزر المحيط الهادي بتصديره، وكان سكان تلك الجزر يبيعونه للتجار مقايضة بالحديد [٢٦٠]. ومن مصادره جزيرة مدغشقر، وزنجبار شرق أفريقيا، وكان يباع فيها مقايضة بسلع أخرى. ولشهرة العنبر وكثرة الطلب عليه ظهرت سوق متخصصة لبيعه في القاهرة، وهي سوق العنبريين [٢٦١]، فكان لا يكاد يوجد في أرض مصر امرأة إلا ولها قلادة من عنبر[٢٦٢]. أما البخور فمنه اللبان الجاوي [٢٦٣]، وكان يستورد من جزيرة سومطرة وجاوة والهند الصينية [٢٦٤]، ويباع في جزيرة جاوة مع سلع أخرى، بقطع القصدير، وبالياقوت، يني (التبر غير المسبوك) واللبان المجلوب من عُمان[٢٦٥].

د- الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة:

ومن الأحجار الكريمة الياقوت الذي كان يتوافر بكثرة في جزيرة سيلان [٢٦٦]، وبلغ من كثرته أن كثير من النساء في هذه الجزيرة كان لهن القلائد الملونة من الياقوت، وكن يجعلنه في أيديهن وأرجلهن[٢٦٧]. ويوجد الياقوت في الأودية والجبال؛ إذ يتكون داخل حجارة مشعبة، تؤخذ هذه الحجارة، وتعطى للحكاكين، فيحكونها حتى يستخرج الياقوت من جوفها، ومنه ما يحفر عليه[٢٦٨]. وأشار القلقشندي وياقوت إلى طريقة اللون، حصول التجار على الياقوت، وهي بالبحث عنه في

٢٥٥- ابن البيطار، الجامع، ج١، ص ٨٣-٨٤؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٩؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٠٢.
٢٥٦- الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٩؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٠٢.
٢٥٧- ابن البيطار، الجامع، ج١، ص ٨٣-٨٤؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٩؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٠٢.
٢٥٨- ابن البيطار، متاخمة الأرض الصين والهند، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٠.
٢٥٩- ابن البيطار، الجامع، ج١، ص ٨٣-٨٤؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٩؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٠٢.
٢٦٠- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٧٦؛ ابن خرداذبة، المسالك، ص٦٥.
٢٦١- المقريزي، الخطط، ج٣، ص٥٣٥.
٢٦٢- المصدر نفسه، ج٣، ص٥٣٥.
٢٦٣- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٥٢؛ وينسب اللبان الجاوي إلى جزيرة جاوه في اندونيسيا، وشجرة الجاوي تكون صغيرة بقدر قامة الإنسان وأوراقها صغار رقاق، واللبان مادة صمغية تكون في أغصانها، ابن بطوطة، الرحلة، ص٦١٩-٦٢٣.
٢٦٤- ابن بطوطة، محمد بن عبدا (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) الرحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٦١٩-٦٢٣، يشار إليه لاحقًا، ابن بطوطة، الرحلة؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢٣٣-٢٣٤.
٢٦٥- ابن بطوطة، الرحلة، ص٦١٩-٦٢٣.
٢٦٦- ابن بطوطة، الرحلة، ص٥٩٩.
٢٦٧- المصدر نفسه، ص٥٩٩.
٢٦٨- المصدر نفسه، ص٥٩٩.

أسفل الأودية حيث تكون الأمطار قد جرفته من أعالي الجبال(٢٦٩)، وإلى جانب الياقوت وجد في جزيرة سيلان (سرنديب) الماس (٢٧٠)، والدر والبلور والسنباذج (٢٧١). ويصنف الياقوت إلى عدة أنواع حسب اللون، فمنه الأحمر، والأزرق، والوردي، والأصفر(٢٧٢). أما العقيق فمصادره الهند والسند، ومنه الأحمر، والأبيض، والأصفر، والأحمر أصاب جوهراً وأغلى ثمنا (٢٧٣)، ومن الأحجار الكريمة اللؤلؤ (٢٧٤)، وكانت أشهر مصايده تقع في سواحل جزيرة خارك في بحر فارس(الخليج العربي). و كانت تصدر إلى مينائي عدن وهرمز ثم تنقل براً بالقوافل إلى القاهرة(٢٧٥). أما المأخر النفيسة فأهمها الذهب، وكان يتوافر في جزر سرنديب (٢٧٦) وجزيرة قنبلو(زنجبار) من جزائر بحر الزنج (٢٧٧)، وجزيرة القمر، وملتان(٢٧٨) حيث سميت بيت الذهب لكثرة ما أخذ المسلمون منها الذهب منذ فتحها؛ وجزر واق الواق في بحر الصين. (٢٧٩) وصدرت الهند والصين إلى مصر الأواني المعدنية المطعمة بالذهب، إضافة إلى معدن الفضة، وكان التجار يجلبون المجوهرات والأحجار الكريمة واللآلي من مختلف الأقطار لكثرة رغبة السلاطين في دولة المماليك في اقتنائها (٢٨٠).

هـ- سلع أخرى، كالمنسوجات الحريرية والديباج والحرير الصيني، والثياب المتخذة من الحشيش، والثياب القطنية المخلية، والسروج المصنوعة من الجلد، والسيوف الهندية، والعاج، وهو من

٢٦٩- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٠٨؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٦.

٢٧٠- ابن خردانبة، أبو القاسم عبيدا (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م) المسالك والممالك، بريل ليدن، ١٩٦٧م، ص٦٤، يشار إليه لاحقاً، ابن خردانبة، المسالك؛ والماس: جوهر يشبه الياقوت في الرزانة والصلابة، وأشكاله مضرسة مخروطية، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٠٨.

٢٧١- ابن خردانبة، المسالك، ص٦٤؛ والسنباذج: حجر كالفولاذ تجلى به السيوف والجواهر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٠٨.

٢٧٢- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٨٨-٨٩-١٣٧؛ شيخ الربوة، أبو عبدا محمد الدمشقي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ليبزج، ١٩٢٣، ص ١٥٤، يشار إليه لاحقاً شيخ الربوة، نخبة الدهر؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٣.

٢٧٣- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٨٨-٨٩-١٣٧؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٥٤؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٣.

٢٧٤- شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٥٤؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٣.

٢٧٥- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٨٨-٨٩-١٣٧؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٣.

٢٧٦- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٧٦.

٢٧٧- شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٦٢.

٢٧٨- ملتان: مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون، وسميت ملتان لان معناها بيت الذهب، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٨٩.

٢٧٩- ابن خردانبة، المسالك، ص٦٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٦٧.

٢٨٠- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٨٨-٨٩-١٣٧؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٠٨.

سلع الهند وشرق أفريقيا[٢٨١]، واستخدم في دولة المماليك لترصيع وتطعيم التحف والمنابر والقصور، والفخار الصيني[٢٨٢]. وإذا جاز جعل الرقيق والجواري من ضمن السلع، فقد كانت الحبشة مصدر الرقيق الأسود إلى جانب الجواري المشتراة من الهند والحبشة. وتجدر الإشارة إلى أن سلاطين المماليك أكثروا من شراء المماليك البيض، ودفعوا للتجار أرباحا طائلة تشجيعا لهم على إحضارهم، فكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون يدفع للتاجر في المملوك الواحد مئة ألف درهم، في حين أن ثمنه على التاجر لا يتجاوز أربعين ألف درهم، وقد سار سلاطين المماليك على هذا النهج [٢٨٣].

ثالثاً: تجارة الكارم

تناول عدد من الباحثين [٢٨٤] تجارة الكارم والكارمية، وأورد بعضهم أسباباً لتسمية الكارم، وهذا الاسم ما يزال مفتوحاً على الرغم من منطقية ما أورده بعض الباحثين. وقد أشار بعضهم[٢٨٥] خلال مناقشتهم للتسمية إلى رواية القلقشندي بصفتها إحدى التفسيرات المطروحة للدلالة على أصل تسمية الكارم، وتشير الرواية إلى "أن هذه الاسم لا معنى له، ويقال إن أصله الكانمي نسبة إلى الكانم [٢٨٦]، وإن طائفة منهم كانوا مقيمين في مصر، شأنهم المتجر في البهار، من الفلفل والقرنفل ونحوهما، مما يجلب من الهند واليمن [٢٨٧]، فعرف ذلك بهم ". وقد قبلت هذه الرواية لدى بعضهم، فقد سلم بها فهمي؛ إذ يقول " وعرف تجار تلك الجهات باسم الكارم أو الكاريمة نسبة إلى مملكة كانم "[٢٨٨]. ويقرر سالم أصل اشتقاق اسم الكارم بقوله:" اشتق الكارم من الكانم وهي منطقة من السودان الغربي..."[٢٨٩]. ونؤيد ما ذهب إليه القوصي من أن التفسيرالمحيط. رده بصيلي هو الأكثر قبولاً من غيره، إذ يعتمد فيه على تقسيم لفظة كارم إلى مقطعين، المقطع الأول (كار) ومعناها الحرفة أو العمل، (بالفارسية) وهي ما تزال مستخدمة في اللهجة العامية والأمثال الشعبية حتى يومنا هذا بنفس المعنى. والمقطع الثاني هو (يم) بمعنى

٢٨١- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٨٨-٨٩-١٣٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٠٨.

٢٨٢- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٨٨-٨٩-١٣٧؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٣.

٢٨٣- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٨٨-٨٩-١٣٧؛ الدمشقي، محاسن التجارة، ص٥٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٠٨.

٢٨٤- القوصي، عطية، أضواء جديدة على تجارة الكارم، المجلة التاريخية المصرية، م٢٢، ١٩٧٥م، ص١٧- ٣٣، يشار إليه لاحقاً، القوصي، أضواء جديدة؛ لبيب، صبحي، التجارة الكارمية، وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، م٤، ع٢، ١٩٥١م، ص٥- ٥٣، يشار إليه لاحقاً، لبيب، التجارة الكارمية؛ فهمي، طرق التجارة، ص١٤٢-١٤٣.

٢٨٥- القوصي، أضواء جديدة على تجارة الكارم، ص١٧-٣٣؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص٥-٥٣.

٢٨٦- الكانم: من بلاد البربر، في أقصى المغرب في بلاد السودان، وقيل: كانم: صنف من السودان، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٣٢.

٢٨٧- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٣؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص٥-٥٣.

٢٨٨- فهمي، طرق التجارة، ص١٤٢-١٤٣.

٢٨٩- سالم، السيد عبدالعزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٣٠. يشار إليه لاحقاً، سالم، البحر الأحمر.

البحر أو المحيط. وقد وردت لفظة اليم في القرآن الكريم، حيث قال تعالى ((فاقذفيه في اليم.)) (سورة طه الآية ٣٩). كما أطلق على البحر الأحمر في العهد القديم اسم (يم سوف) بمعنى بحر سوف. ومن هنا جاءت تسمية من يعمل في البحر باسم كاريم أو كارم[٢٩٠]. ويمثل الحديث عن تجارة الكارم جزءا من المتجر السلطاني ودوره الاحتكاري، إلا أن المصادر المعاصرة لهذه الدولة، لا تشعر بوجود دور كبير لهم في حركة الأسواق المملوكية، ولكن الثابت أن هذه الطائفة من التجار ظهرت في القرن ٦هـ/١٢م، فقد أشار المقريزي في أحداث سنة(٥٧٧هـ/١١٨١م) إلى وصول تجار الكارم من عدن إلى مصر، وأخذت منهم زكاة أربع سنين [٢٩١]. وكان لهم في الفسطاط فندق خاص بهم عرف منذ حكم الأيوبيين بفندق الكارم[٢٩٢]. وجاءت شهرتهم التجارية من اختصاصهم بتجارة الفلفل والبهار، وغيرها من السلع المستوردة من الهند وشرق أفريقيا[٢٩٣]. وكان عدد الكارمية كبير في فترة المماليك الأولى، وكانت لهم أموال عظيمة حتى إن السلطان اقترض منهم ما يغطي نفقات مشترياته من الإفرنج. ولم تظهر الكاريمية في البداية كجماعة تجارية كبيرة منظمة[٢٩٤]. ثم توسعت تجارتهم فأقاموا العديد من الفنادق والمراكز التجارية على طول طرق تجارتهم، فكانت لهم محطات تجارية في الإسكندرية والفسطاط وعدن وتعز وزبيد، وكانت قوص وعيذاب من أهم مراكزهم ومخازن بضائعهم، حيث تنقل بضائعهم منها إلى الفسطاط والإسكندرية[٢٩٥]. وكون الكارمية فيما بعد نقابة لهم، ورئيس معترف به من قبل الدولة، عرف برئيس الكارمية[٢٩٦]. ووصل تجار الكارم بعد ازدهار تجارتهم إلى درجة من الثراء والجاه بحيث صاروا أكثر تجار مصر يسارا، ويدل على ذلك حجم الثروات التي خلفها رؤساؤهم وكبار تجارهم، فقد ترك رئيس الكارمية في القاهرة، تاج الدين أبو بكر بن معين الدماميني عند وفاته سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١ م مائة ألف دينار عينا[٢٩٧]. واعتمد السلطان لاجين على عدد كبير من تجار الكارم في تسديد نفقاته عن طريق الاقتراض منهم. واقترض السلطان برقوق من الكارمية سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣ م ألف درهم [٢٩٨]. واهتم تجار الكارمية بتقديم الهدايا و الهبات للسلاطين و

٢٩٠- القوصي، أضواء جديدة على تجارة الكارم، ص١٧-٣٣.

٢٩١- المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٠٣؛ السلوك لمعرفة دولة الملوك، ج٣، ص٥٣٥.

٢٩٢- المصدر نفسه، ج١، ص٧٢.

٢٩٣- جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م، ص٢٧٩. يشار إليه لاحقاً، جوايتاين، دراسات.

٢٩٤- جوايتاين، دراسات، ص٢٧٩.

٢٩٥- الأسدي، محمد بن محمد بن خليل الأسدي (وفيات القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار، تحقيق عبدالقادر طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٨٥؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١١٠؛ القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ج، تعليق محمد حسين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٣، ص٤٥٥، ٥٣٧.

٢٩٦- المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٤٠.

٢٩٧- المقريزي، السلوك، ج١، ص٧٣٩، ج٢، ص١٠٣، ١٠٤؛الأسدي، التيسير، ص٨٥.

٢٩٨- المقريزي، السلوك، ج١، ص٧٣٩، ج٢، ص١٠٣، ١٠٤؛الأسدي، التيسير، ص٨٥.

الأمراء. وامتد نشاط بعض تجار الكارم للتعامل مع التجار الإفرنج، فقد أخذ أحد التجار الإفرنج من تاجر كارمي مبلغ عشرين ألف دينار(٢٩٩)، مما يشعر بتوسع تجارتهم، وقدرتهم المالية على تمويل الصفقات التجارية الكبيرة.

رابعاً: الفنادق والخانات والوكالات التجارية

تعد المؤسسات والهيئات التجارية في الأسواق المملوكية عاملا مساعدا في حركة التجارية، فقد أسهمت الوكالات والخانات والفنادق، في تنشيط العمل التجاري وضبطه والعمل على تسهيل مهمة التجار وتنظيم أمورهم، وتوفير السلع اللازمة لهم، وتأمين سلامتهم وحفظ بضائعهم.

أ- الفنادق:

الفندق كلمة لاتينية تدل على مبنى ضخم مكون من عدة طوابق فيه غرف مختلفة ومخازن، وبه صحن داخلي كان يستخدم لخزن السلع ونزول الدواب، كما كان يشتمل على كنيسة وحمام ومحكمة ومخبز ومقبرة وتحيط به حديقة وله حرس، ولم يكن للفندق غالباً أكثر من باب واحد يغلق بوساطة باب حديد وأقفال خاصة أعدت لذلك(٣٠٠). استخدمت الطوابق العليا من الفندق لنزول التجار ولا سيما الأجانب منهم، وربما سمح للحجاج المارين بالنزول في هذه الفنادق بعض الليالي في مقابل أجر معلوم (٣٠١). وارتبطت الفنادق في عددها ومساحتها بحجم التجارة الواصلة إليها، وكان الفندق مكاناً لإقامة التجار، ومخزناً لحفظ بضائعهم(٣٠٢). وألحق في معظم الفنادق حوانيت أعدت لعرض البضائع تمهيداً لبيعها، أو نقلها إلى الأسواق المجاورة. وكانت الحوانيت تقام في الطابق الأرضي حول الفناء الداخلي، وفوقها مساكن التجار، وتمتد خارج البناء حدائق غرست بالأشجار، مما يعطي الفندق مظهرا جميلا(٣٠٣). ووجدت أمام الفندق رحبة واسعة(٣٠٤)، يبدو أنها أعدت لبيع المواشي أو لأغراض التحميل والتنزيل. وعرفت الفنادق بأسماء أصحابها أو السلع التي تباع فيها، كفندق الكارم في الفسطاط الذي ينزل فيه تجار الكارم(٣٠٥)، وفندق مسرور في القاهرة(٣٠٦)، وفندق الحصر المجلوبة من الفيوم، وفندق القصب الذي كان معدا لبيع قصب السكر، وأقيمت بعض الفنادق لحفظ أموال التجار وأماناتهم(٣٠٧).

٢٩٩- المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٤، ج٣، ص٨١١.

٣٠٠- عبد المنعم ماجد، ظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج٢، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م، ج١، ص١٢٤، يشار إليه لاحقاً، ماجد، نظم المماليك.

٣٠١- ماجد، نظم المماليك، ج١، ص١٢٤-١٢٥؛ Bertrandon, The Travels, p.294.

٣٠٢- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٣؛ نقولا زياده، رواد الشرق، ص٢٠٢.

٣٠٣- شارل ديل، البندقية، ص١٤٢.

٣٠٤- ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص٣٥؛ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٢.

٣٠٥- ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص٤٠.

٣٠٦- Fichel, The Spice Trade, p.163.

٣٠٧- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٢.

ب- الخانات:

الخان كلمة فارسية تعني البيت أو القصر أو المنزل[٣٠٨]، وذلك لأن بانيه التجار، أي الملك، والخان مبنى على هيئة مربع طول ضلعه من عشرة إلى ستين متراً، وسمك جداره بين متر ومتر ونصف، وبداخله فناء مربع تشرف عليه أجنحة الخان من الداخل، وفي وسط الباحة يقام في الغالب مسجد، ويتكون الخان في العادة من طابقين على ارتفاع سبعة إلى ثمانية أمتار، استخدم الطابق الأرضي لخزن البضائع، والطابق العلوي استعمل كفندق تنزل به القناصل في كثير من الأحيان بسبب حصانته، كما احتوى الخان أيضا على حمام للاستحمام [٣٠٩]. وأقيمت الخانات داخل الأسواق الرئيسة وعلى الطرق التجارية كمحطات لنزول التجار، وحفظ بضائعهم[٣١٠]. ووجد في بعض الأسواق عدة خانات، وسميت بعض الخانات بأسماء السلع التي تباع فيها، كخان الزيت[٣١١] واختصت بعض الخانات ببيع أكثر من سلعة[٣١٢]، كذلك بنيت الخانات على الطرق التجارية الرئيسة[٣١٣]، وكانت بعض الخانات مخصصة لتجار معينين دون غيرهم أو أنها اشتهرت بنزولهم فيها[٣١٤]. كذلك أقام تجار الإفرنج خانات خاصة بهم، فقد تجمع الإفرنج في خان خاص بهم في مدينة الإسكندرية[٣١٥]، وخضع هؤلاء التجار لنظام المراقبة والإقامة في خاناتهم، فيغلق عليهم كل مساء من الخارج، ويفتح عليهم في الصباح[٣١٦].

ج- الوكالات:

الوكالة تشبه الفندق بنظامها إلا في ناحيتين، الأولى أنها كانت مخصصة لنزول التجار الوافدين من الشرق الإسلامي، بينما كانت الفنادق مخصصة لإيواء التجار الأجانب القادمين من الغرب[٣١٧]. والناحية الثانية أن ملكيتها كانت تنتقل من أصحابها لأبنائهم بعد وفاتهم، في حين كانت الفنادق ملكاً عاماً تابعة للدولة وليس ملكاً خاصاً لفرد ما أو مجموعة أفراد[٣١٨]. وتأتي الوكالة بمعنى الفندق والخان، فهي متمثلة في دورها التجاري من حيث استقبال التجار وبضائعهم وتنظيم عملية البيع والشراء. ويبدو أن الوكالة أكبر حجما من الفندق والخان، إذ تشمل عدة

٣٠٨- ابن منظور، لسان العرب، مادة فندق، ج٥، ص٢٣٤.
٣٠٩- ماجد، نظم المماليك، ج١، ص١٢٤-١٢٥؛ Bertrandon ,The Travels ,p.294.
٣١٠- Bertrandon ,T heTravels ,p.294.
٣١١- ابن طافور، رحلة ابن طافور، ص٤٢؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٢٢٤؛ ابن المبرد، الإعانات، ص٦٩، ٧٠؛ ابن صصرى، الدرة المضيئة، ص١٧٢؛ حبيب زيات، دمشق، مجلة المشرق، سنة ١٩٣٨م، ص٦٧.
٣١٢- حبيب زيات، خانات دمشق، ص٦٨؛ غوانمة، بيت المقدس، ص٨٦، ٨٨؛ أكرم العلبي، دمشق، ص٢٥٤.
٣١٣- Bertrandon ,The Travels ,p.289.
٣١٤- ابن المبرد، الإعانات، ص٧٠؛ أكرم العلبي، دمشق، ص٢٥٤.
٣١٥- Bertrandon ,The Travels ,p.295.
٣١٦- Bertrandon ,The Travels ,p.289.
٣١٧- فهمي، طرق التجارة، ص٢٨٦- ٢٨٧؛ ماجد، نظم المماليك، ج١، ص١٢٤-١٢٥؛ Bertrandon ,The Travels ,p.294.
٣١٨- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٨٦-٩٤.

مخازن، وفوقها رباع تشتمل على عدة مساكن. ويظهر الفرق في إشارة الوظائف الجليلةحولت وكالة قوصون إلى فندق، وكان الفندق كبيرا جدا وبدائره عدة مخازن يعلوها رباع تشتمل على ثلاثمائة وستين بيتا (غرفة)[٣١٩]، وتتنوع البضائع الواردة إلى الوكالات التجارية، فقد شاهد المقريزي وكالة قوصون في القاهرة، ودهش من كثرة ما فيها من أصناف البضائع، وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها[٣٢٠]، وخصصت الوكالات التجارية للسلع التي ترد من الأسواق الخارجية[٣٢١].

خامساً: الحسبة ومراقبة الأسواق

كانت وظيفة الحسبة من الوظائف الجليلة في ذلك العصر، وتأتي في المرتبة الخامسة بين الوظائف الدينية الرسمية في دولة المماليك، ولم يكن يتولاها في أوائل عصر المماليك إلا وجوه الناس وأعيانهم [٣٢٢]. والمحتسب هو من نصبه الإمام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم وأحوالهم، بشرط أن يكون بالغاً عاقلاً عدلاً [٣٢٣]، ووجدت الحسبة للحدث في الأمر والنهي، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته [٣٢٤]. ويقوم المحتسب بمراقبة إقامة الشعائر الدينية. وكان على المحتسب ضبط الأسعار والحد من ارتفاعها، والعمل على تسعير السلع وقت الحاجة، والإشراف على حركة الأسواق، وسلامة النقد والأوزان[٣٢٥]. كما اهتم بفقراء الفقهاء، وأخذ الزكاة من التجار وأرباب الأموال [٣٢٦]. ومراقبة حركة النقل فألزم رؤساء المراكب أن لا يحملوا في مراكبهم إلا القدر الذي يضمن سلامة المركب والبضاعة، وفرض مثل ذلك على الحمالين الذين يستخدمون البهائم[٣٢٧]. ويحتاج المحتسب في عمله إلى معرفة الأحكام من العبادات، ومعاملات البيع والشراء، والذبائح وشروطها، والشهادات والإقرار، والأحكام ليأخذ الناس بها. ويحتاج إلى معرفة جيدة بالنقود، من رديئها، وخالصها من مغشوشها[٣٢٨]. ويفترض بالمحتسب أن يكون من وجوه العدول وأعيانهم، لأنه مفوض من قبل

٣١٩- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٣؛ غوانمة، بيت المقدس، ص٩٢؛ والأصل في الوكالة التفويض والتوكيل، ويبدو أنها ارتبطت في هذه الفترة بالمكان الذي يتم فيه تفويض الوكالة بالبيع والشراء، تاج العروس (وكل) ج٣، ص١٤٣.
٣٢٠- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٣.
٣٢١- المصدر نفسه، ج٢، ص٩٤.
٣٢٢- ابن الإخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٧.
٣٢٣- المصدر نفسه، ص٧-٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥١-٤٥٢.
٣٢٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧؛ القلقشندي، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق شوقي أبو خليل، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥م، ج١، ص٧٩. يشار إليه لاحقاً.القلقشندي، مآثر الأناقة.
٣٢٥- المقريزي، الخطط، ج٢، ص٩٢؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج٣، ص٢١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٢٤، ج١٥، ص٣٩٤؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٠٧.
٣٢٦- المقريزي، الخطط، ج٣، ص٥٧٤، ج٣، ص٥٦٤.
٣٢٧- المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٤.
٣٢٨- ابن المبرد، الحسبة، ص٣٨٥، ٣٨٦.

السلطان، ولا يكون تعيينه إلا إذا خلع عليه وقرىء مرسوم تعيينه على المنابر في مصر والقاهرة، ولا يحال بينه وبين مصلحة أرادها[٣٢٩]. وجد في مركز الدولة ومصر محتسبان، أحدهما بالقاهرة، وهو أعظمهما قدرا، وأرفعهما شأنا، وله التصرف بالحكم بالوجه البحري بكماله خلا الإسكندرية التي كان لها محتسب يخصها. والمحتسب الثاني كان بالفسطاط (مصر) وهو أقل مرتبة عن الأحكام، في القاهرة، وله التحدث والتولية بالوجه القبلي بكماله. ويجلس محتسب القاهرة دون محتسب مصر بدار العدل لا سيما في أيام المواكب السلطانية. ويعين المحتسب نوابا عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنواب الحكم، بينما يوجد المحتسب يوميا بجوامع القاهرة[٣٣٠]. ونظرا لما كان يتمتع به المحتسب من صلاحيات في تنفيذ الأحكام، وإيقاع العقوبات، فقد تم الجمع بين وظيفة الحسبة ووظائف أخرى، تعزيزا لسلطة المحتسب، وتمكينا له من اتخاذ القرارات وتنفيذها. فقد أضيفت الحسبة أحيانا بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطة بهما[٣٣١].

سادساً: الأوزان والمكاييل والمقاييس

الأوزان: والمكاييل والمقاييس من الوسائل الأساسية في المعاملات التجارية ، ورغم تعددها، واختلافها من منطقة إلى أخرى، إلا أنه يمكن تحديد بعض النيابات التي اشتركت باستعمال وزن أو مكيال معينين، مع اختلافها في الوزن والحجم. فقد تعاملت المدن المملوكية بالرطل كقاعدة لأوزانها، وكأساس في عمليات البيع والشراء، وكان الإردب مكيال مصر، ويمثل الدرهم القاعدة الأساسية في تقدير قيمة الأوزان والمكاييل، ويختلف درهم الكيل في عياره عن درهم وزن النقود[٣٣٢]. وكانت صنجة [٣٣٣]، فقد أشار هنتس إلى أن الدرهم المصري المعتبر في الوزن يساوي ٣,١٢٥غم.

الأوزان:

عرفت الدولة المملوكية عدة أوزان استخدمت جميعها لإغراض التجارة، ومن هذه الأوزان:الرطل، والأوقية باعتبارها وحدة من وحداته، والقنطار الذي يعد من مضاعفاته، يضاف إلى ذلك أوزان أخرى كالمن والحمل والبيعة والكر.

الرطل والأوقية:

يعد الرطل من الأوزان التي شاع استعمالها في دولة المماليك، المصري، أوقية، وهي من مشتقاته تساوي ١٢/١ منه، واعتمدت أساسا في عمليات البيع والشراء، ولم تكن هذه الوحدات

٣٢٩- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٣.
٣٣٠- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٣؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٦٣٤.
٣٣١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٣.
٣٣٢- فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ص١١. يشار إليه لاحقاً، هنتس، المكاييل.
٣٣٣- أوزان خاصة من الزجاج طبع عليها شكل الدرهم أو الدينار ونقوشه لتعيين أوزان النقود، الدوري، تاريخ العراق، ص٢١١.

ثابتة في جميع النيابات المملوكية، فاختلاف وزن الرطل في مصر ما بين القاهرة والإسكندرية ودمياط. ويعرف الرطل القاهري وهو المعتمد في القاهرة وضواحيها بالرطل المصري، وهو مائة وأربعة وأربعون درهما وأوقيته اثنا عشر درهما [٣٣٤]. وكان التعامل في الإسكندرية بعدة أرطال، منها الرطل الإسكندري الذي استخدم لوزن البهارات واللحم والخبز[٣٣٥]، وذكر اشتورانه نفس الرطل الفلفلي ويساوي ٤٢٠-٤٤٠غم [٣٣٦].

القنطار:

كان القنطار متساويا في الوزن في جميع المدن المملوكية، وهو مائة رطل، وجاء الاختلاف بوزنه بحساب رطل كل مدينة والتي اختلاف الرطل فيها عن الأخرى، وعليه يكون القنطار المصري ما يعادل ٤٥كغم [٣٣٧].

الحملة والحمل:

لم يكن وزنها ثابتا في جميع السلع، وإنما قدرت قيمتها حسب السلعة التي تباع فيها، فكانت حملة الحطب في القاهرة مائة وعشرة أرطال، وبحساب الرطل المصري يكون وزنها ٤٩.٥كغم[٣٣٨].

البيعة:

بلغت بيعة العنبر في القاهرة ثمانية مثاقيل إلا ربعا[٣٣٩]. وبحساب المثقال المصري (٤.٦٨غم) تكون البيعة ٣٦.٢٧غم، وذكر هنتس أن بيعة العنبر والحرير تساوي عشرة أرطال مصرية، أي ٤.٥كغم [٣٤٠].

الإردب:

مكيال مصري يتألف من ٦ ويباً صغيراً. ويبة ٨ أقداح كبيرة، أو ١٦ قدحاً صغيراً [٣٤١]. وعليه يكون الإردب ٩٦ قدحا صغيرا. المقاييس:شندي أنه كان في مصر أقداح مختلفة، ولكل ناحية منها قدح مخصوص بحسب إردبها، والمستعمل منها بالقاهرة القدح المصري، وهو قدح صغير تقديره بالوزن من الحب المعتدل ٧٢٥غراماً [٣٤٢].

٣٣٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٧؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٦٣؛ هنتس، المكاييل، ص١٩.

٣٣٥- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٥٣، ج٤، ص٥٤٢، ج٤، ص٧٤٤.

٣٣٦- Ashtor, Levantine Weiqhts, pp472,474.؛ هنتس، المكاييل، ص ٣٠، ٣١.

٣٣٧- هنتس، المكاييل، ص٣٠، ٣١.

٣٣٨- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٢١، ج٣، ص٨٢٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٥٥٥؛ هنتس، المكاييل، ص٢٧.

٣٣٩- هنتس، المكاييل، ص١٢.

٣٤٠- المصدر نفسه، ص٤٦.

٣٤١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٢١؛ هنتس، المكاييل، ص٥٨.

٣٤٢- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥١٢.

المقاييس:

استخدم الذراع لقياس الأقمشة في القاهرة، ذراع بذراع اليد وأربعة أصابع مطبوقة [٣٤٣]. وهو ما عرف بذراع البز، ويساوي ٥٨.١٨٧سم [٣٤٤]. ويزيد ذراع الفسطاط بعض الشيء عن ذراع القاهرة، وربما زاد في بعض نواحي الديار المصرية، ويستعمل الذراع لقياس غير القماش كالحصر وغيرها [٣٤٥]. واستخدمت الإسكندرية نفس ذراع القاهرة [٣٤٦]. أما بقية المدن المملوكية فاستخدمت ذراع القماش مع اختلافات بسيطة عن ذراع القاهرة، فكان كل عشرة أذرع من ذراع طرابلس تساوي أحد عشر ذراعا مصريا [٣٤٧]، أي ما يعادل ٦٤سم [٣٤٨].

سابعاً: الضرائب والمكوس على التجارة

تعد عشور التجارة من الضرائب الأساسية التي، أقرها الإسلام [٣٤٩]، وأصل المكس قبل الإسلام ضريبة تؤخذ من البائع في السوق [٣٥٠]، وكانت بمقدار ١٠ بالمائة من أموال التجار[٣٥١]. ويبدو أن السلاطين توسعوا في هذا المفهوم، فأخذت المكوس والضرائب على كل ما يباع في الأسواق، أو يدخل إليها في كل مرة، رغم تأكيد الفقهاء تحريم المكوس [٣٥٢]. واختلفت آراء المؤرخين المعاصرين لدولة المماليك في الضرائب والمكوس، ففي الوقت الذي يحاول فيه ابن خلدون بيان موقف الدولة من فرضها، ويؤكد حاجتها إلى الأموال لقلة ما يجبى، وتغطية لنفقاتها[٣٥٣]، ويرى الاسدي أن ما تأخذه الدولة من الضرائب والمكوس، هو مال حرام، ويستخرج على غير وجه حق لصالح السلطان ونفقة أعوانه [٣٥٤]. واختلفت الضرائب المفروضة زمن المماليك من فترة إلى أخرى، تبعا للظروف الاقتصادية، وأهمية السلع في تجارة الدولة. ففي الوقت الذي تفرض فيه مكوس جديدة على سلع معينة، كانت تلغى المكوس عن سلع أخرى [٣٥٥]. وكان للدولة ديوان تجمع فيه أموال الضرائب، وهو الديوان المفرد [٣٥٦]، ولها جهات عديدة

٣٤٣- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٣.
٣٤٤- هنتس، المكاييل، ص٨٤.
٣٤٥- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٣.
٣٤٦- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٨١؛ هنتس، المكاييل، ص٨٥.
٣٤٧- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٣٣؛ هنتس، المكاييل، ص٨٦.
٣٤٨- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٣؛ هنتس، المكاييل، ص٨٥.
٣٤٩- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ص١٥٣؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص١٤٩، ج٤، ص٤٠٥، ج٧، ص٣٢.
٣٥٠- المقريزي، الخطط، ج١، ص١٢٣، ابن منظور، لسان العرب، مادة مكس، ج٤، ص١٥٢.
٣٥١- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ص١٥٠.
٣٥٢- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ص١٥٠.
٣٥٣- ابن خلدون، العبر، ج١، ص٤٩٧، ٤٩٨، ٥٢٥، ٥٢٨.
٣٥٤- الأسدي، التيسير، ص٩٧.
٣٥٥- ابن الصيرفي، أنباء العصر، ص١٤٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٥٧٥، ج٣، ص٣٧.
٣٥٦- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٦٨٦.

لتحصيل الضرائب والمكوس، منها قطعيا على الطريق بين الشام ومصر[٣٥٧]. كما كانت تؤخذ المكوس على ما يرد إلى القاهرة برا وبحرا، وجبايتها، فيها صنف خاص بالمتجر السلطاني [٣٥٨]، وما يرد إلى الموانئ المملوكية، لا سيما الإسكندرية ودمياط ورشيد[٣٥٩]. وأخذت المكوس في الأسواق المملوكية من قبل مباشري الدولة وجبايتها، حيث خصص لهم مقاعد خاصة في الأسواق[٣٦٠]. ويؤخذ العشر أو الخمس على البضائع الواردة من التجار القادمين عن طريق البحر أو على ما صولحوا عليه[٣٦١]. وأخذت المكوس في دولة المماليك البحرية على الغلال، وكان يؤخذ على كل إردب من القمح والشعير والفول، يباع أو يشترى، نصف درهم فضة، ثم ارتفع ليصل إلى درهم واحد الفضة[٣٦٢]. ومن السلع التي فرضت عليها المكوس، الفواكه البلدية والمجلوبة، وكان متحصلها في القاهرة نحو ستة آلاف دينار [٣٦٣]. وأخذت كذلك عن الجلود، بأنواعها [٣٦٤]، والمواشي درهمان على كل رأس يخرج من المسلخ، وربع درهم لمن يختم عليه بالختم [٣٦٥]. وأخذت المكوس على الكتان، والزجاج، [٣٦٦] والزيت، والصابون والأرز[٣٦٧].

ثامناً: الأسعار والعوامل المؤثرة فيها

كانت أسعار السلع التجارية على ضربين: الأول أسعار الطفرة الغلاء، ربطت مباشرة بمدى توافر السلع، وفترات انقطاعها عن الأسواق، ومدى الحاجة أليها ولا سيما إذا كانت هذه السلع موسمية أو مستوردة. والضرب الثاني من الأسعار ما كان في فترات الرخاء وتوفر السلع في الأسواق، وهي محدودة مقارنة بأوقات الغلاء، والأزمات الاقتصادية التي شهدتها الدولة. كما أنها لم تكن شاملة لجميع النيابات المملوكية، فالرخاء ورخص الأسعار في بلاد الشام، لا يعني بالضرورة، وجود نفس الحالة في مصر والمدن الحجازية، إذا لم تكن الظروف المناخية، ووسائل الإنتاج، والأحوال المعيشية في مصر و المدن الحجازية، إذ لم تكن الظروف المناخية، ووسائل

٣٥٧- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٢٥؛ القاضي عبدالباسط، نيل الأمل، ج١، ص١٣٨.
٣٥٨- الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٩٧.
٣٥٩- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٧، ٤٥٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص١٩٣.
٣٦٠- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٦٠٣.
٣٦١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٧، ٤٥٩؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٠٩؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص١٩٣.
٣٦٢- ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٣١، ج٤، ص٣٠٤، ج٥، ص١٤.
٣٦٣- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١١٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٦٢١، ج٤، ص٣٠٤، ج٥، ص١٤. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٩٤.
٣٦٤- المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٢٥؛ القاضي عبدالباسط، نيل الأمل، ج١، ص١٣٨.
٣٦٥- sauvaget ,Decrets mamelouks de Syrie, Damascus, (1948) vol.2.p. 31
٣٦٦- lbid ,vol ,p.32.
٣٦٧- lbid ,vol ,p.32.

الإنتاج، والأحوال المعيشية متماثلة في كل منهما [٣٦٨]. يدخل في أسعار السلع، كلفة إنتاجها، ونفقات تسويقها. كما يدخل في قيمة الأقوات، نفقاتها، في الزراعة، واستصلاح الأراضي، وما يفرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الأسواق وأمام أبواب المدن، وما يأخذه الولاة والجباة، فضلا عن الربح الذي يقرره التجار عن كل سلعة، كما شكل توافر وسائل النقل، وأجور الشحن جانبا من أسعار السلع التجارية المنقولة بحرا حيث يدخل في سعر الحمل ما[٣٦٩] عليه من مصاريف النقل والتحميل من الموانئ خارجا عن أجرتها. سجلت أسعار السلع وأنواع المبيعات ارتفاعا ملحوظا [٣٧٠]. وكان الفرق بين السعر العادي والسعر في وقت الغلاء كبيرا، ولم يقف الأمر عند حد الغلاء بل فقدت السلع من الأسواق، إما لاحتكارها وتحديد سعرها وقت بيعها من قبل المماليك، وإما لإخفائها من قبل أصحابها و المتاجرين بها، أو لقلة الإنتاج، وعدم كفاية الواصل منها إلى الأسواق المملوكية. وكان وصف الأسعار بالرخص والغلاء نسبيا، قياسا للأوضاع الاقتصادية السائدة و مستوى المعيشة وأسعار صرف النقود والقيمة الشرائية لها [٣٧١].

كان ارتباط المواسم الزراعية في مصر بفيضان نهر النيل، من العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار الأقوات ومعدلات إنتاجها، كما برزت أهمية الإمطار كمصدر رئيس للري والتفاؤل بموسم زراعي جيد. وأسهمت القوارض والآفات الزراعية في خراب كثير من المزروعات التي ترتفع أسعارها ويشتد الطلب عليها في مثل هذه الحالات [٣٧٢]. وكانت الدولة بعيدة عن معالجة قضايا الغلاء وتوفير الأقوات، ما لم يكن ذلك متعلقا بتحقيق أهداف السلاطين والأمراء، وتوفير متطلباتهم من السلع التجارية. وفقد الناس إزاء ذلك ثقتهم بالدولة وإجراءاتها، وانتشرت الإشاعات، وكثرت الأقوال التي كانت كفيلة برفع الأسعار واضطراب الأسواق، وتزاحم الناس وقلقهم، وكانت أموالهم وبضائعهم عرضة للنهب والمصادرة، فتعطلت وسائل الإنتاج، وتدني مستوى المعيشة، ووصل الأمر في كثير من السنوات إلى حد المجاعة [٣٧٣].

الخاتمـة:

خلصت دراسة السلع التجارية في الأسواق المصرية في دولة المماليك البحرية إلى النتائج الآتية:

- كان للإنتاج المحلي وظهور الحرف والصناعات دور في النشاط التجاري للمدن المملوكية، فقد تميزت المدن البرية في النيابات الشامية بتجارة السلع القادمة من العراق والأناضول، بينما راجت السلع الإفريقية في المدن المملوكية جنوب مصر، واختصت المواني،

٣٦٨- المقريزي، السلوك، ج٣، ص١١٣٤؛ المقريزي، إغاثة الأمة، ص٧٧.

٣٦٩- ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٩٦، ٧١٥.

٣٧٠- ابن صصرى، الدرة المضيئة، ص٢٢٩.

٣٧١- ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٩٦، ٧١٥؛ المقريزي، إغاثة الأمة، ص٧٧.

٣٧٢- المقريزي، السلوك، ج٤، ص٦٣١؛ العيني، عقد الجمان، ص٢٣٨؛ القاضي عبد الباسط، نيل الأمل، ج٢، ص٤٠٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٧٤.

٣٧٣- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٢٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٦٣٩.

المملوكية على البحر المتوسط بالسلع الأوروبية، وكانت جدة وينبع والسويس موانئ مهمة لاستقبال السلع القادمة من اليمن والحبشة والهند والصين، كما تجمعت في أسواق القاهرة مختلف أنواع السلع والبضائع الواردة إليها من مختلف المدن المملوكية في مصر وبلاد الشام والحجاز.

- توزعت الأسواق الرئيسة والإقليمية والمراكز التجارية بين النيابات المملوكية، وأقيمت الفنادق والخانات والقيساريات والوكالات التجارية المختصة، في معظم المدن الرئيسة وعلى الطرق التجارية المؤدية إليها، وشاركت هذه المؤسسات في تجارة العبور، فاستقبلت السلع التجارية من الموانئ الأخرى، وأعادت تسويقها، فكانت خلال تجارها وسيطا تجاريا ومشاركا رئيسا في تجارة السلع الشرقية والأوروبية. وتنوعت الأسواق المملوكية تبعاً للسلع التي تباع فيها، والوقت الذي تقام فيه، فكانت هناك أسواق شاملة لجميع أنواع السلع، وأخرى متخصصة بسلع معينة، وأسواق موسمية ويومية.

- ارتبطت حركة السلع التجارية، وأنواع المبيعات في الأسواق المملوكية، بمستوى المعيشة، وعادات السكان، وحاجاتهم الأساسية والنشاط التجاري للدولة. وتعد الغلال والسكر واللحوم والتوابل والأقمشة والزيوت والفواكه والمعادن والرقيق أهم السلع التجارية للدولة، يضاف إلى ذلك أنواع أخرى من المبيعات كالبذور والأخشاب والورق والزجاج والعنبر والحشيش والأسلحة وأدوات الزينة والسلع الدوائية.

- أقيمت في الأسواق المملوكية العديد من المؤسسات التجارية، فأسهمت الوكالات والخانات والفنادق في تنشيط العمل التجاري وضبطه، وعملت على تسهيل مهمة التجار، وتنظيم أمورهم، وتوفير السلع اللازمة لهم، وسلامتهم ومكان أقامتهم وحفظ بضائعهم ودوابهم.

- تعد الحسبة من الوظائف الدينية الرسمية في دولة المماليك. ووجدت الحسبة للحدث في الأمر والنهي، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته. ويقوم المحتسب بمراقبة إقامة الشعائر الدينية. وكان على المحتسب ضبط الأسعار والحد من ارتفاعها، والعمل على تسعير السلع وقت الحاجة، والإشراف على حركة الأسواق، وسلامة النقد والأوزان.

وعرفت الأسواق المملوكية عدة أوزان استخدمت جميعها لأغراض تجارية، ومن هذه الأوزان: الرطل والأوقية باعتبارها وحدة من وحداته، والقنطار الذي يعد من مضاعفاته. أما المكاييل فأهمها الإردب والمد والكيل وغيرها من المكاييل. كما استخدم الذراع على اختلاف قياساته في جميع المدن المملوكية.

- كانت أسعار السلع التجارية على ضربين: الأول أسعار الطفرة التي ارتبطت مباشرة بمدى توافر السلع، وفترات انقطاعها عن الأسواق، ومدى الحاجة إليها، لا سيما إذا كانت هذه السلع موسمية أو مستوردة. والضرب الثاني من الأسعار، ما كان في فترات الرخاء وتوافر السلع في الأسواق، وهي محدودة مقارنة بأوقات الغلاء. يدخل في أسعار السلع التجارية، كلفة إنتاجها، ونفقات تسويقها. كما يدخل في قيمة الأقوات نفقات علاجها، واستصلاح الأراضي.

Merchandise in the Egyptian Markets During the Second Mamluk State AH. 6٤٨-784/AD. 125٠ -1382

Marwan A. Dala'een *

ABSTRACT

Markets in the Mamluk cities varied following items being sold, and the time when markets are being held. There were comprehensive markets and specialized markets as well as seasonal markets and daily ones. The Items sold in these markets varied according to their sources. Locally-made items played crucial-fundamental role in the commercial activities of the state. Marketing was subject to several factors among which are: supply and demands, monopolistic practices by the sultan through the sultanate markets, the trade of the Mamluki sultans and the economic importance of traded items. Trade movement was tied to the standards of living, basic needs of the people and their customs and the commercial activities of the state. Various yields, fodder, meat, spices, textile, fruit, metals and slaves represented important merchandise for the Second Mamluki Sultanate. I want to add the Institutions and trade commissions, besides the observers of the markets. It was mentioned in this research the idea of scales standards, taxes and prices.

KEYWORDS: Trade Goods, Egyptian Markets, Mamluki State, Trade Agencies, Sultan Markets-Stores.

* Department of Educational and Social Sciences/ Al-Karak College, Al-Balqa Applied University, Jordan.
Received on 13/7/2010 and accepted for publication on 20/10/2010.